



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التبسي - تبسة
كلية الآداب واللغات
قسم الأدب العربي



الأنساق الثقافية في الأدب الرستمي نماذج مختارة

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي تخصص تحليل الخطاب

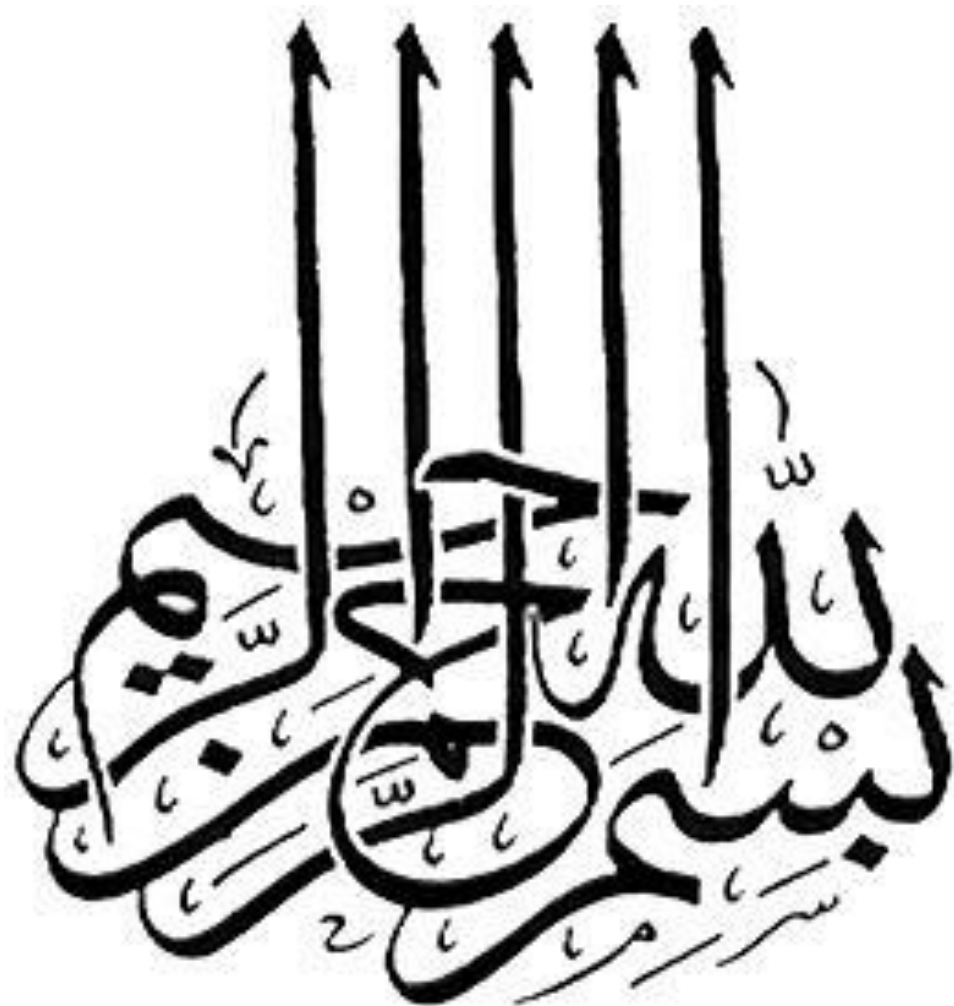
إشراف الأستاذة :
شريعة قادري

إعداد الطلبة :
نذير طاهر
دليلة عبيد

أعضاء اللجنة المناقشة :

رئيسا	أستاذ مساعد (أ)	روبيقي رزيقة
مشرفا ومقررا	أستاذ مساعد (أ)	قادري شريعة
عضوا مناقشا	استاذ مساعد (أ)	نصيب ليلي

السنة الجامعية : 2016/2015



الإهداء :

إلى الوالدين الكرمين ... إلى كل العائلة والأصدقاء

إلى كل من أعرفه من قريب أو من بعيد دون استثناء

مقدمة

لا يستطيع أحد أن ينكر اسهامات الأدب الجزائري في تأسيس الموروث الأدبي العربي , شعره ونثره , قدمه وحديثه على حد سواء , غير أن المتصفح لكتب الادب والتاريخ يجد أن الكثير من الأعمال الأدبية والفكرية الجزائرية , خاصة القديمة منها باتت في طي النسيان , على الرغم من أهميتها ودورها البارز في التأصيل للأدب العربي عامة والجزائري خاصة , بل إن معظم الكتب التي تؤرخ للأدب العربي تشير في مجرد ومضات إلى الأدب المغاربي من زاوية تاريخية بحتة .

من هنا تبني دراستنا الموسومة ب: "الأنساق الثقافية في الأدب الرستمي نماذج مختارة", محاولين من خلالها دراسة الموروث الأدبي الرستمي الذي يمثل بامتياز أدبنا الجزائري القديم , من خلال رؤية نقدية معاصرة هي النقد الثقافي الذي بدأ يطل على الساحات النقدية في العقود الأخيرة من القرن الماضي , بوصفه بديلا عن النقد الادبي يستوعبه ويتجاوز في الوقت ذاته , فإذا كانت مهمة الثاني تقويم الاعمال الأدبية بعد تحليلها واكتشاف قوانينها الداخلية , فإن الأول يتجاوز هذه المهمة ليخلق شبكة من التداخلات المعرفية التي تشمل حقول المعرفة الإنسانية الساعية إلى الكشف عن الأنساق المضمرة في النصوص الأدبية التي لم يتمكن النقد الأدبي من كشفها والقبض عليها , إذ أن هذه النصوص تخفي في ثناياها متونا أخرى غير متون القيم الفنية والجمالية التي تخلقها علاقات التركيب والأسلوب والدلالة التي يسعى الناقد الأدبي إلى إظهارها .متون تصنعها بنية ثقافية تقوم بتشكيلها قيم اجتماعية وحضارية عبر مسارات زمنية متنامية تتغلغل في بنية النصوص الأدبية وتوجهها بقصد أو بدون قصد , لخلق أنظمة معرفية تهيمن على السياسة والتاريخ وتخطو باتجاه تكوين علاقات نمطية تتفاعل مع ذاتها وتتوالد باستمرار , لتعيد إنتاج دلالاتها التي تتحكم في إنتاج الثقافة وتوزيعها .

كما يشغل النقد الثقافي على اساس الانتقال من حدود النسق النصي إلى النسقين السياقي والثقافي , وهو يعد من أهم التوجهات التي عرفها الفكر النقدي الحديث نتيجة التأثر بفكرة ما بعد الحداثة ودورها المعرفي والثقافي في تجاوز المركز اللغوي للمعجم النصي إلى رموز الخطاب الثقافي , وانفتاحه اللامتناهي الذي يواكب الموسوعية الثقافية التي ينطلق منها القارئ والمتلقي في تشكيل استراتيجية القراءة الثقافية ,ودالها المضمرة في فراغات النص , وهي تتجاوز الدال والمدلول والاعتباطية الديسوسيرية التي سجنت العلامة في حدود النسق اللغوي , وأبعدتها عن الرمزية الثقافية وتفاعلها الاجتماعي والثقافي والمعرفي .

ويبحث هذا النشاط (النقد الثقافي) عن الثقافي داخل الأدبي ويظهر ذلك جليا إثر الدعوة إلى نقد جديد يتجاوز مقولات النقد الأدبي وعلى رأسها الجمالية , إلى نقد ثقافي يهتم بالأنساق الثقافية المضمرة خلف البناء اللغوي .

والحقيقة أننا لسنا أول من يخوض غمار هذا البحث ، إذ سبقنا بدراسات سابقة نذكر منها : دراسة عبد الله الغدامي المنظر الأول للنقد الثقافي في الأدب العربي ، التي وسمها بـ : " النقد الثقافي قراءة في الأنساق العربية ، حيث تعرض فيها لمصطلحات النقد الثقافي ثم درس فيها نماذج من الشعر العربي القديم . ونجد أيضا " النسق الثقافي قراءة في أنساق الشعر العربي القديم " ليوسف عليمات ، والتي طرح فيها مقدمة نظرية حول النقد الثقافي ، ثم انتقل مباشرة إلى قراءة ثقافية لنماذج من الشعر العربي القديم . غير أن هذه الدراسات اشتغلت فقط على النصوص الشعرية ، ولم تتعرض للنصوص النثرية التي كان لنا فضل السبق في تحليلها ومحاولة الكشف عن أنساقها .

وأهم الأسباب التي حملتنا على إنجاز هذه الدراسة هي إبراز مكانة الجزائر الفكرية والعلمية والسياسية في تاريخ حضارة المغرب الإسلامي ، وتخليط الضوء على شخصيات أدبية وإسلامية لم تحض بالدراسة الكافية في الأعمال الأدبية السابقة أمثال بكر بن حماد والإمام أفلح بن عبد الوهاب ، من خلال الإحاطة بجوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية التي عاشها هؤلاء الاعلام، ومدى تأثيرها في إنتاجهم الأدبية ، وبهذا تكون دراستنا محاولة للإجابة عن الإشكاليات التالية :

-فيما تمثلت أهم مظاهر الحياة الأدبية والفكرية التي جسدت أدب تلك الفترة ؟

-كيف ساهمت الثقافة في بناء النص الأدبي الرستمي ؟ وهل هي فعلا ساهمت في بنائه ؟ أم هو الذي أعاد

صياغة الثقافة وإنتاجها ؟

-هل للأنساق الثقافية حضور نهائي في تشكيل الأدب الرستمي ؟

-ما هي أهم الأنساق الثقافية المعلنة في النصوص الرستمية ؟

-هل حملت هذه الأنساق المعلنة أنساق مضمرة ؟

ويسعى البحث إلى جملة من الأهداف منها : محاولة الوقوف على الأنساق التي يظهرها ويضمهرها الأدب الرستمي ، وبيان دورها في تكوين نصوصه ، مع رصد حركيتها وعلاقتها مع بعضها البعض داخل النص ، وتتبع الدلالات النهائية التي تفرزها .

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي والتاريخي بالنسبة للفصلين النظريين ، والقراءة الثقافية بالنسبة للفصل التطبيقي .

أما بالنسبة لخطة البحث ، فتوزعت على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة تتضمن خلاصة ما توصلنا إليه ، وأضفنا ملحقا يتضمن النصوص محل الدراسة .

أما الفصل الأول فقد وسمناه بـ: "الحياة الثقافية في الدولة الرستمية"، وهو نظري أحطنا فيه بالوضع السياسي للمغرب قبيل قيام الدولة الرستمية، ثم تأسيس الدولة، يليها المظاهر الثقافية في الدولة الرستمية، والتي تمثلت في الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية آنذاك.

وجاء الفصل الثاني ليدعم الإطار النظري للدراسة، تحت عنوان "النسق في النقد الثقافي"، بدأناه بطرح مفهوم النسق لغة واصطلاحاً، ثم أنواع الأنساق ومميزاتها، مروراً بآليات الكشف عن النسق، ووصولاً إلى علاقة النسق بالنقد الثقافي.

في حين خصصنا الفصل الثالث بالدراسة التطبيقية للكشف عن أهم الأنساق المعلنة والمضمرة في النماذج التي اخترناها، ودرسنا فيه أولاً نموذجين من الرسائل الرستمية، وقمنا باستخراج أهم الأنساق فيهما. وثانياً خطبتين هما الخطبة الأولى للجمعة وخطبة التحكيم، واتبعنا في قراءتهما نفس الخطوات التي اتبعناها مع الرسائل، أما ثالثاً وأخيراً فقد انتقلنا إلى الشعر من خلال الاشتغال على قصيدتين لأشهر شعراء الدولة الرستمية وهما: الإمام أفلح في قصيدة فضل العلم، وبكر بن حماد في قصيدته التي هجا فيها عمران بن حطان الشاعر.

ومن المصادر والمراجع التي اعتمدناها نذكر: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية لسليمان باشا الباروني، إضافة إلى الأدب الجزائري القديم دراسة في الجذور لعبد المالك مرتاض، والنسق الثقافي قراءة في أنساق الشعر العربي القديم ليوسف عليمات، كمرجعين محوريين ارتكزت عليهما دراستنا، وغيرها من المراجع التي كانت ذخيرتنا في هذا الموضوع.

وقد اعترض سبيل هذا البحث كغيره من البحوث الأخرى صعوبات وعوائق نذكر منها: ندرة المراجع التي تناولت الأدب الرستمي بالدراسة، وعدم تمكننا من الحصول على أهم مصدر في هذه الدراسة وهو "أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير"، إضافة إلى عدم وجود دراسات اشتغلت على الأنساق الثقافية في النصوص النثرية. لا يسعنا في الأخير إلا أن نتقدم بشكرنا للأستاذة المشرفة "شريفة قادري" لقاء نصائحها وتوجيهاتها، كما نتقدم بجزيل الشكر والعرفان والتقدير لكل من ساعدنا وأمدنا بيد العون، وكان لنا سندا حتى بالكلمات في إنجازنا لهذا البحث المتواضع، كما نشكر أساتذة أعضاء اللجنة المناقشة، الأستاذة "روقي رزيقة" والأستاذة "ليلي نصيب" على تقبلهما قراءة هذا البحث، ونأمل أن لا يدخرا جهداً في سبيل توجيهنا إلى أخطائنا. ونسأل الله التوفيق والنجاح، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الفصل الأول : الحياة الثقافية في الدولة الرستمية

1/ الوضع السياسي للمغرب قبيل قيام الدولة الرستمية :

أ- نظرة عامة حول بلاد المغرب

ب- الأوضاع السياسية

2/ تأسيس الدولة الرستمية :

أ- نسب الرستميين

ب- بناء تيهرت ورسم حدودها

3/ المظاهر الثقافية في الدولة الرستمية :

أ- الحياة السياسية :

- نظام الحكم

- الأئمة الرستميين

- العلاقات الخارجية

ب- الحياة الاقتصادية :

- الزراعة

- الصناعة

- التجارة

ج- الحياة الفكرية :

- عوامل نشوء الأدب الرستمي

- الأنواع الأدبية المشهورة :

- الشعر وأغراضه

- فن الرسائل

- رواد الأدب الرستمي :

- ابن الصغير

- الإمام أفلح

- يهودا بن قريش التاهرتي

- أبو العباس التاهرتي

- بكر بن حماد

- البزاز

- أبو سهل

1/ الوضع السياسي للمغرب قبيل قيام الدولة الرستمية :

أ- نظرة عامة حول بلاد المغرب :

تجدر الإشارة قبل الخوض في الحديث عن "بلاد المغرب" إلى الاختلاف الواضح في المصادر العربية القديمة حول تحديد هذه البلاد , ورسم حدود دقيقة لها . هذه البقعة الجغرافية التي عرفت بالعديد من الأسماء على مر الزمن وتعاقب الحضارات فيها , فمسألة الحدود وتطورها عبر التاريخ تحتاج وحدها لدراسة مفصلة , حتى تتمكن من ضبطها واستيعاب "بلاد المغرب" كوحدة متكاملة . وأول اسم عرفت به "بلاد المغرب" هو "ليبو" أو "ليبيا" , والإغريق هم من أطلقوه عليها , وبالضبط على النصف الشمالي منها والذي كان يسكنه البيض , في حين كانوا يسمون جنوبها -وهي الصحراء- ببلاد الأحباش السود. أما الرومان فهم أول من استعملوا لفظ "إفريقية" وكانوا يطلقونه على الإقليم الذي نعرفه اليوم بالجمهورية التونسية , وتحديدًا الجزء الشمالي الشرقي منها .¹

ومع قدوم العرب إلى المنطقة أطلقوا عليها اسم "بلاد المغرب" , وفي هذه التسمية مقابلة مع بلاد المشرق مركز الخلافة , لكن ما يهمنا هنا هو هذه البلاد وحدودها . من الجلي لكل شخص أن لفظ "المغرب" يحيل مباشرة إلى جهة غروب الشمس , وعليه يستطيع أن يحدد جهة المغرب من أي مكان يتواجد فيه.² من هنا تحدد مدلول "بلاد المغرب" ليدل على كل ما يلي مصر غربًا إلى المحيط الأطلسي , وتتوسطه إفريقية , وبحسب قربها أو بعدها عن مركز الخلافة ؛ قسمت "بلاد المغرب" إلى ثلاث أقسام كبيرة هي المغرب الأدنى والأوسط والأقصى , فالأول عرفت به عاصمتان هما القيروان أيام الأغالبة والمهدية أيام الفاطميين , ويشمل تونس وبعض المناطق الشرقية من الجزائر . أما عاصمته اليوم فهي تونس , في حين كانت قاعدة الثاني تلمسان , وتمتد حدوده من تاهرت حتى وادي ملوية وجبال تازة غربًا ويشمل الجزائر أما الثالث فقد انتقلت عاصمته من مدينة فاس التي أسسها الأدارسة العلويون إلى مراكش التي بناها المرابطون , أما اليوم فإن عاصمته هي الرباط عاصمة المملكة المغربية .³

1- ينظر : عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : تاريخ المغرب والأندلس , مكتبة نضرة الشرق جامعة القاهرة , ص : 11

2- ينظر عبد العزيز غوردو : الفتح الإسلامي لبلاد المغرب "جدلية التمدين والسلطة" , دار ناشري للنشر الإلكتروني ,

الكويت , ط2, 2011, ص : 09

3- ينظر المرجع السابق , ص : 12

ب- الأوضاع السياسية :

بانتشار الرسالة المحمدية في الجزيرة العربية , ثم الشام والعراق , أخذ المسلمون على عاتقهم نشرها خارج هذه البقاع , فتناثروا في أصقاع الأرض شرقا وغربا وكانت مصر محطة الفاتحين الأولى في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ؛ نظرا لموقعها الاستراتيجي المهم¹ , حيث مثلت بامتياز همزة وصل بين الشرق والغرب , والجسر الذي عبرته الجيوش الإسلامية لبلاد المغرب آنذاك والأندلس فيما بعد .

فتح عمر بن العاص : 22هـ - 643م:

عقب فتحه لمصر توغل في إفريقيا حتى وصل طرابلس , ففضى على الوجود الروماني بها , وغنم بما كان موجودا فيها , بعدها تطلع إلى فتح شمال إفريقيا فأرسل إلى أمير المؤمنين يطلب الإذن , فرفض طلبه لعدد من الأسباب منها : خوفه من حصول انتكاسة إسلامية , وخاصة أن القبائل البربرية مشهورة بالعصيان والتمرد على جميع الدول التي حاولت أن تستولي على أراضيهم , وتفرض عليهم سلطتها . كما أن عمر بن الخطاب كان عنده حدس وهو أن الأوطان كثيرة القبائل والعصائب قلما تستحكم فيها الدولة² .

فتح عبد الله بن سعد بن أبي سرح : 27هـ - 648م:

بعد خمس سنوات من فتح عمر بن العاص , زحف جيش من المسلمين عدده عشرون ألف جندي إلى أراضي إفريقيا الشمالية بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح والي مصر آنذاك , وقد عينه عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد تولي الخلافة مباشرة , وأذن له بهذا الفتح بعد أن أرسل إليه طالبا ذلك وشارك معه ستة من الصحابة وهم: عبد الله بن الزبير بن العوام , عبد الله بن جعفر , عبد الله بن العباس بن عبد المطلب , عبد الله بن عمر بن الخطاب , عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص . وانتصر عبد الله بن سعد على قوات جرجير الحاكم البيزنطي على الشمال الإفريقي المتكونة من مائة وعشرين ألف فارس من البيزنطيين والبربر وقتل القائد في المعركة , وتحصل الجيش الإسلامي على غنائم كبيرة في هذه المعركة³ .

فتح معاوية بن حديج الكندي : 45هـ - 666م:

بتولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة بعد مقتل علي رضي الله عنه , عين الكندي واليا على شمال إفريقيا , ولم يلبث أن استقر حتى هجم عليه البيزنطيون وطردوه , فاستنجد بالخليفة الذي أمدّه بجيش استعاد به شمال إفريقيا بكل سهولة , كما سمحت هذه الحملة بفتح العديد من المدن الإفريقية الأخرى⁴ .

1- ينظر : عبد المالك مرتاض : الأدب الجزائري القلم دراسة في الجذور , دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع , الجزائر , دط , دس , ص : 27

2- ينظر : عمار بوحوشي : التاريخ السياسي للجزائر منذ البداية ولغاية 1962 , دار الغرب الإسلامي , بيروت , ط 1 , 1997 , ص : 25

3- ينظر : عمورة عمار : موجز في تاريخ الجزائر , دار ربحانة للنشر والتوزيع , الجزائر , ط 1 , 2002 , ص : 37

4- ينظر المرجع نفسه : ص : 38,37

فتح عقبة بن نافع الفهري سنة 50هـ-671م:

يعتبر فتح عقبة بن نافع أشهر الفتوحات التي عرفتها إفريقيا ، لأنه بنى القيروان التي مثلت قاعدة المسلمين هناك ، حيث أنشأ بها المرافق الضرورية للحياة الدينية ، فكان المسجد الجامع . والحياة اليومية ، فكانت الأسواق وبعض الصناعات ... وأخذ عقبة بن نافع يجمع حوله البربر وتوغل في بلاد المغرب حتى وصل إلى الساحل الأطلسي ، وعاد على طريق الصحراء ، الذي هاجمته فيه فرقة كسيلة الملك البربري الذي كان أسيرا لدى أبو المهاجر دينار والي القيروان ، الذي عينه معاوية بعد عزله لعقبة والذي بدوره استعاد الولاية من أبي المهاجر .¹

ثم تتالت الفتوحات الإسلامية بعد ذلك على بلاد المغرب ، فكان من بينها فتح زهير بن قيس البلوي 69 هـ في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، حيث قاد جيشا بوصفه واليا للقيروان ، وحقق انتصارا باستعادته لمدينة القيروان وباقي المدن الساحلية الأخرى التي استولى عليها كسيلة بتحالفه مع البيزنطيين بعد مقتل عقبة ، لكنه بعد ذلك تنازل عن الولاية بمحض إرادته ، وفي طريق عودته إلى برقة هجم عليه الروم وقتلوه .² لكن الخليفة لم يستسلم فأمر بتشكيل جيش إسلامي بقيادة حسان بن النعمان الذي قام بالهجوم على مدينة قرطاجنة ، ويمكن القول باختصار أن حسان بن النعمان هو الذي جعل بلدان المغرب العربي بلدانا إسلامية موحدة تخضع كلها للخلافة الإسلامية ، كما أنه هو الذي نجح في القضاء على الروم ، وتهدئة القبائل البربرية ، واستمال البربر إلى اعتناق الديانة الإسلامية³ ولم يقف التداول بين الولاة العرب على المدن المفتوحة ، بل تواصل إلى عهد عبد العزيز بن مروان الذي حكم مصر آنذاك ، وهذا الأخير عين موسى بن نصير واليا على إمارة شمال إفريقيا والذي بدوره قام بإخضاع القبائل البربرية التي لم تكن قد خضعت بعد للمسلمين ، بالإضافة إلى تحرير طنجة من الرومان ، ويرجع إليه الفضل أيضا في تعليم القرآن لرجال البربر ، وفي عهده اعتنق أهل المغرب الأقصى الإسلام ، وشاركوا معه في فتح الأندلس ، لكن إنجازات موسى بن نصير عادت عليه بالسلب ، حيث قام الخليفة عبد العزيز بن مروان بعزله من منصبه وذلك خوفا من أن يتمرد عليه هو ومواليه من قبائل البربر ، وأن يتمكنوا من السيطرة على بلاد المغرب والأندلس ، وحدث ما لم يتوقعه الخليفة ، فقد ثارت العشائر البربرية على الخلافة الإسلامية لأنها كانت رافضة لهذا القرار ، فموسى بن نصير كانت له مكانة أكبر من مكانة الخليفة في نفوسهم ، وقد تزامنت هذه الثورات مع ثورات العباسيين على الأمويين في المشرق بعد اشتعال الفتن وكثرة الاضطهاد ، وبذلك تزايد عدد الفارين إلى شمال إفريقيا بحثا عن الأمان ، ولم يكن البربر من الراضين لذلك بل فتحوا لهم الأبواب وساندوا دعوتهم إلى التمرد على الخلافة المركزية .⁴

1- ينظر: احمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، المطبعة العربية ، دب ، د ط ، دس ، ص: 18

2- ينظر: عمار بوحوشي ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ص: 28

3- ينظر : المرجع نفسه ، ص ص: 28,29

4- ينظر : المرجع نفسه ، ص: 31

لقد توافق الفكر البربري مع فكر الخوارج , والتقوا عند نقطة التمرد على الخلافة الإسلامية التي تلغي أحقية كل مسلم في تولي زمام الأمور في الدولة إذا توافرت فيه الشروط.

مجيء الخليفة أبو جعفر المنصور (44هـ, 761م) صاحبه حرب على الخوارج بقيادة محمد بن الأشعث وكان من نتائجها أن قتل الكثير من زعماء البربر , إلا أن كثرة الثورات وتعدد الانتفاضات وكثرة الموتى في جيشه حالت دون مواصلته للحرب , فعاد لمنصبه الأول أميراً على مصر , أما الحرب الثانية فكانت بقيادة الأغلب بن سالم التميمي والي ولاية الزاب , وعند مقتله خلفه عمر بن حفص الذي خلفه عند ما انتقل إلى القيروان وها هو الآن يخلفه بعد موته , وهذا لأخير اشتغل بإعادة بناء طنجة وتعميرها , فحاصره جيش من البربر كان يقوده عبد الرحمن بن رستم وعاصم السدراتي ومسعود الزناتي¹ لكن عمر بن حفص استطاع أن يتفاوض مع المعارضين حتى دعم بالجيش , حيث التقى بأبي الخطاب وجموعه , وتمكن من قتله وتشتيت قواه , واستعاد القيروان من الخوارج ولاحق صاحبه ابن رستم الى جهة الأوراس , وبدد شمله وأرغمه على الفرار , فنزل ابن رستم بجبل على مقربة من تيارت الحالية , فلم يكذ يسمع الإباضيون هذا الخبر حتى أموا عبد الرحمن فشدوا أزره , فقوي حينئذ امره , وفكر في تأسيس مدينة تكون شارة استقلالهم فاختموها وشيدوها وأصبحت قاعدة إمارتهم بل دولتهم التي دان لسلطانها كل المدن والقرى بين الزاب وفاس وسميت هذه المدينة بتيهرت , فترجع عبد الرحمن بن رستم على عرش إمارته , فكان حينئذ أول مؤسس لدولة إسلامية جزائرية مستقلة¹

من خلال هذا الطرح للأوضاع السياسية للمغرب العربي قبيل قيام الدولة الرستمية نخلص إلى :

- الرسالة المحمدية في بدايتها كانت منحصرة على الجزيرة العربية والشام.
- مصر تعد همزة وصل بين الشرق والغرب .
- تطلع الفاتحون إلى فتح شمال إفريقيا إلا أن خوفهم من المجهول حال دون ذلك.
- توغل المسلمون في شمال إفريقيا بعد ما طردوا البيزنطيين منها .
- شمال إفريقيا بين المد والجزر , أي انها تارة في أيدي الفاتحين, وتارة أخرى في أيدي البيزنطيين.
- أشهر فتح لشمال إفريقيا هو فتح عقبة بن نافع .
- كثرة الثورات على الخلافة الإسلامية الأموية في المشرق العربي من طرف العباسيين , والتي كانت متزامنة مع ثورات البربر في شمال إفريقيا .
- من ثورة إلى حرب إلى دولة , هذه هي دولة عبد الرحمن بن رستم.

1- ينظر المرجع السابق : ص: 32

2- محمد الطمار : تاريخ المغرب الجزائري, ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر , دط , 2006, ص ص: 71, 72

2/ تأسيس الدولة الرستمية :

يبدأ تأسيس الدولة الرستمية من استيلاء أبو الخطاب على القيروان وإرسال أبو جعفر بن الأشعث لاستردادها , حيث قام أبو الخطاب بترك عبد الرحمن بن رستم في القيروان ليعترض الجيش الذي كان تحت قيادة أبو الأحوص , وفي خضم المعركة وصل الأشعث بنفسه إلى طرابلس حيث كانت المعركة وقتل أبو الخطاب سنة 44هـ.¹ بلوغ خبر وفاة أبي الخطاب لعبد الرحمن بن رستم , ترتبت عنه نتائج تمثلت في تفرق الجيش عنه وثورة أهل القيروان ضده , فلم يكن له سبيل إلا أن يتوجه إلى المغرب الأوسط ونزل على قبائل كان له حلف معهم . ونظرا لوجود إباضيين في هذه القبائل قرر عبد الرحمن بن رستم أن ينتقل وينزل بجبل , لما رآه من عدم ثبات اتفاق الإباضيين معه سابقا , وخبر نزول عبد الرحمن بن رستم انتشر حتى وصل الأشعث فجهز جيشا باتجاه الجبل , لكنه بمجرد وصوله اختلقت الآراء في صفوف جيشه حول مؤيد لفتح الجبل وهدمه , ومعارض لذلك بفكرة العودة إلى القيروان نظرا لمناعة الجبل.²

بقي عبد الرحمن بن رستم في الجبل فتدفق إليه رجال من الإباضية , ولما اشتد حصنه خرج بن رستم من الجبل , أي خرج من حصن الجبال إلى حصن الرجال , وبدأ التفكير في تأسيس مدينة تكون رمزا لاستقلالهم وحصنهم يتمتعون فيه عن أعدائهم.³

استعمل عبد الرحمن بن رستم حيلة تنم عن الدهاء ؛ فقد أخرج إعلان الدولة ومبايعة إمامها , نظرا إلى أنه لو تم إعلانها قبل أن ترسخ عروقتها ويثبت جذعها , وتدخل على الرقعة السياسية في شبابها , لجعلها العباسيون نصب أعينهم , وجهزوا لها الجيوش كما فعلوا مع دولة ابن الخطاب . وهذا يدل على أخذ العبرة من الأحداث التي حصلت مع أبي الخطاب , ولذلك فضل عبد الرحمن بن رستم أن ينظم كل أمور الدولة الداخلية وقام بحل كل المشاكل , ووحد الصفوف , وبنى عاصمة الدولة , وبهذا تكون الدولة قد برزت للوجود وأصبحت قادرة على الوقوف في وجه العباسيين , وبعد مبايعة عبد الرحمن بن رستم شرع في العمل على توطيد حكمه وإرساء دعائم دولته ومواجهة المشاكل الخارجية المصاحبة لقيام الدول سواء فيما يتعلق بسياساتها الخارجية أو الداخلية.⁴

1- ينظر: مبارك بن محمد الميلي : تاريخ الجزائر القدم والحديث , دار الغرب الإسلامي , بيروت , ج2 , دط , دس , ص64

2- ينظر المرجع نفسه , ص : 64

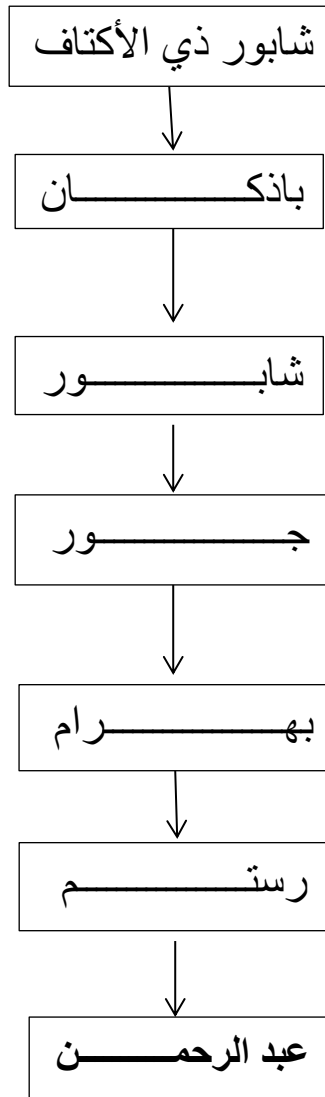
3- ينظر المرجع نفسه, ص : 64

4- ينظر : عصام عبد الرؤوف الفقي : تاريخ المغرب والأندلس , مكتبة نهضة الشرق , القاهرة , دط , دس , ص : 115

أ- نسب الرستميين :

كان انتقال عبد الرحمن بن رستم إلى المغرب الأوسط إيدانا بظهور الدولة الرستمية , والتي أصبحت قوة جديدة لها أثرها البالغ في تشكيل أحداث المغرب بأكمله , ولا يكتمل الحديث عن الدولة الرستمية دون الحديث عن عبد الرحمن بن رستم الذي سميت الدولة الرستمية على اسمه. وقد أجمعت المصادر أن بني رستم فارسيو الأصل حيث يذكر البكري أن " نسب عبد الرحمن بن رستم يرتفع إلى أصل ملكي يرتبط بأكاسرة الفرس الساسانيين , فجدده (بهرام بن ذي شرار بن سابور بن يابكان بن سابور ذي الأكتاف الملك الفارسي) , ونجد هذه الرواية عند ياقوت الحموي بمزيد من الإيضاح بهذا النسب الملكي الفارسي فهو (بهرام بن جور بن شابور بن باذكان بن شابور ذي الأكتاف ملك الفرس.¹"

وهذه شجرة نسب عبد الرحمن بن رستم :



1- محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي , دار القلم للنشر والتوزيع , الكويت , ط3, 1997, ص: 73

ب- بناء تيهرت ورسم حدودها :

الرقعة الجغرافية ركن مهم من أركان بناء الدولة, فلكي تقام دولة ما يجب ضبط حدودها الجغرافية, لذلك فإن اختيارها من أهم الأمور لخروج الدولة إلى النور , وأثناء تصفحنا للتاريخ نجد أن اختيار الحاكم للمناطق الجغرافية يلعب دورا هاما , وهذا الدور تزداد أهميته إذا كان هناك ازدهار اقتصادي وإشعاع ثقافي , إلى جانب الدور العقائدي والسياسي لها .

إن اختيار تيهرت لم يكن بمحض الصدفة ؛ فبالنظر إلى كتابات الجغرافيين والرحالة العرب المسلمين نجد أن هناك اتفاقا على أهمية تيهرت من حيث معمارها ومناخها الطبيعي الخاضع لعوامل جغرافية تتعلق بالبيئة المحيطة بها , وكذلك وضعها الاقتصادي إذ كانت تتميز بغناها الزراعي وكثرة مياهها يضاف ليه كذلك العوامل السياسية الناتجة عن وضعها العقائدي .

" تيهرت وفي بعض الكتب تاهرت بفتح التاء وسكون الراء أو تيهرت بكسر التاء مدينة قديمة كانت موجودة بالقرب من مدينة تيارت الحالية, في الجهة الغربية وعلى بضعة أميال منها, وهذه اللفظة أي تيهرت أو تاهرت بربرية, ومعناها في اللغة العربية: اللبوة , وسميت المدينة بهذا الاسم لأن المكان الذي أسست فيه كان به قبل تأسيسها عرين تلتجئ إليه اللبوة لإرضاع أشبالها . وتاهرت القديمة مدينة عتيقة كانت موجودة في العهد الروماني, ولا يزال بناحياتها إلى يومنا هذا آثار رومانية ضئيلة وأحجار منحوت عليها حروف لاتينية"¹

وقد اختار عبد الرحمن بن رستم هذا الموقع لبناء مدينته تيهرت الجديدة التي تبعد عن تيهرت القديمة بخمسة أميال في الناحية الغربية , ولهذا الموقع عدة ميزات كالآتي :

1- يتوسط المغرب الأوسط وبهذا تكون تيهرت منطقة متوسطة بين المغرب الأدنى والمغرب الأقصى وبين البحر المتوسط والصحراء الكبرى.² حيث تكون المسافة الفاصلة للمغرب الأقصى والمغرب الأدنى عن تيهرت تقريبا متساوية .

2- المجال الزراعي من مميزات موقع تيهرت نظرا لما يتمتع به من خصب الأراضي , وإنتاج الحبوب خاصة القمح الجيد .

3- توفر الطرقات للتنقل عبر نواحي المناطق المحيطة بالمدينة خاصة الصحراء التي يؤتى منها بالمواشي والتي من خلالها أيضا يمكن الاتصال بإباضية الجبل الأخضر.³

1- محمد بن رمضان شلوش : الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي , المطبعة العلوية , مستغانم الجزائر , ط1, 1966 ص: 18

2- ينظر المرجع نفسه, ص: 20

3- ينظر المرجع نفسه, ص: 20

4- "سهولة المواصلات عبر الصحراء مع السودان الذي منه يجلب الذهب الذي عليه مدار المعاملات بين الأمم شرقا وغربا.

5- وجود الكأ والعشب بتلك الناحية بكثرة , مما يجعل أهل الصحراء يلتجؤون إليها بمواشيهم صيفا ولا سيما في أعوام الشدة والقحط.

6- كونها في أرض مملوكة لأناس مستضعفين من قبائل لواتة وهوارة وزواغة, لا رغبة لهم في الاستيلاء على الأمر والقبض على زمام الأمور والحكم , علاوة على استقرار عدة قبائل إباضية.¹

إن هذه الاسباب كلها كفيلة بأن تجعل الرستميين يختارون تاهرت , ويتخذونها عاصمة لمملكتهم , وكرسيا لإمارتهم وقاعدة لبث دعاياتهم ونشر مذهبهم الخارجي الإباضي.

وكنتيجة فقد تم تأسيس تاهرت الرستمية أو الحديثة عام 144هـ , بالمكان الذي نزل به عبد الرحمن بن رستم في سفح جبل قزول , وهو مكان طيب الهواء غزير المياه كثير الأشجار ذوات الثمار المتنوعة التي تجري من تحتها عيون متدفقة .

يذكر أبو عبيدة البكري في وصف تيهرت "إن تاهرت مدينة مسورة لها أربعة أبواب , باب الصفاء وباب المنازل وباب الأندلس وباب المطاحن , ولها قسبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة , وهي على نهر يأتيها من جهة القبلة , ونهر آخر يجري من عيون تجتمع تسمى ناس , ومنها مشرب بساتينها وهي في شيء , وفيها جميع الثمار وهي شديدة البرد كثيرة الغيوم والثلج."²

1- المرجع السابق , ص ص : 20, 21

2- أبو العباس بن سعد الدرجمي : طبقات المشايخ بالمغرب , حققه ابراهيم طلان , مطبعة البحث , الجزائر , دط , ص ص : 42, 43

3/ المظاهر الثقافية في الدولة الرستمية :

أ- الحياة السياسية :

- **نظام الحكم:** من المعلوم أنه لا يمكن للدولة أن تقوم دون جهاز حكومي, يمثل بطبيعة الحال السلطة الأولى في البلاد , ويتولى إلى جانب تشريع القوانين تنظيم شؤون الدولة الاقتصادية والاجتماعية, وطبيعة المهام الملقاة عليه تقتضي وجود سلم ترتبي للمناصب التي تدخل في تكوينه كما هو الحال في الدولة الرستمية , لكن طرق تعيين الولاة فيها مختلفة, فالوالي يتم تعيينه عن طريق الانتخاب على عكس ما كان سائدا منذ بداية الفتح الإسلامي وصولا إلى العهد العباسي , "ولهذا كان للخوارج نظرية في الخلافة تبنى على مبدأ مفاده أصلح الناس للإمامة

احقهم بها؛ أي إذا تحققت الشروط المطلوبة تحققت الإمامة :

- لا يشترط فيه أن يكون قرشيا كما يشترط ذلك أهل السنة .

-يجوز أن يتولاها عندهم العربي والعجمي والقرشي والتميمي والحضري والبدوي .

من خلال هذا نجد أن نظام الخوارج في شأن الخلافة نظام جمهوري محض فالخليفة عندهم ينتخب انتخابا , ومن تم انتخابه وبويع عليه أن يسير سيرة تنفق ومصالحة الأمة الإسلامية , فإذا حاد عنها بأن جار وظلم وجب عزله.¹

بمعنى أنه لا وجود لنظام الوراثة عندهم , ولا يحق للإمام أن يختار ولي عهده, غير أن هذا الشرط يجعلنا نقف أمام تناقض , فإذا كان هناك مبدأ عدم التوريث في الخلافة عند الخوارج فإن الدولة الرستمية قد خالفت هذا المبدأ لأن الخلافة فيها انحصرت على عائلة بني رستم , وبالتالي يمكننا القول عن نظام حكم الدولة الرستمية بأنه نظام ملكي أكثر منه نظام جمهوري, فقد تداول على الخلافة الأب وثمانية أبناء قبل دخول الشيعة واستيلائهم على تيهرت , ولعل السبب الذي جعل أسرة بني رستم تتخذ من نظام الحكم ملكيا هو كونهم أجاناب عن البلاد , فليس لهم سند من الأقارب يتقون بهم وقت الشدة , أو أن السبب هو خوف عبد الرحمن بن رستم من اندثار سلالته الفارسية في الدولة .

1-محمد بن رمضان شاوش : الدر الوقاد , ص: 27

- الأئمة الرستميون :

لقد تداول على حكم الدولة الرستمية طيلة قرن عبد الرحمن بن رستم وأبناؤه فقط , لذلك وجب ذكر أئمة الدولة الرستمية, وأولهم "عبد الرحمن بن رستم , كانت مدة حكمه سبعة أعوام , ثم تولى ابنه عبد الوارث , فكانت مدة حكمه عشرين سنة وتوفي سنة 188هـ , ثم وليها ابنه ابو سعيد أفلح بن عبد الوارث ومات سنة 205هـ, ثم وليها أيضا ابنه ابو بكر بن أفلح بن عبد الوارث بن عبد الرحمن بن رستم ,فاختلف عليه الأمر وأخرجه اهل تيهرت منها ثم أعادوه إلى أن مات فيها , ووليها بعده أخوه أبو اليقضان محمد بن أفلح , فكانت مدة حكمه سبعا وعشرين سنة , ووليها بعده أبو حاتم يوسف بن ابي اليقضان , فأقام فيها عاما واختلف عليه الناس واضطرب أمره فخرج إلى حصن لواتة ثم تولى يعقوب بن أفلح بن عبد الوارث بن عبد الرحمن بن رستم ثم ولي يقضان بن أبي يقضان"¹

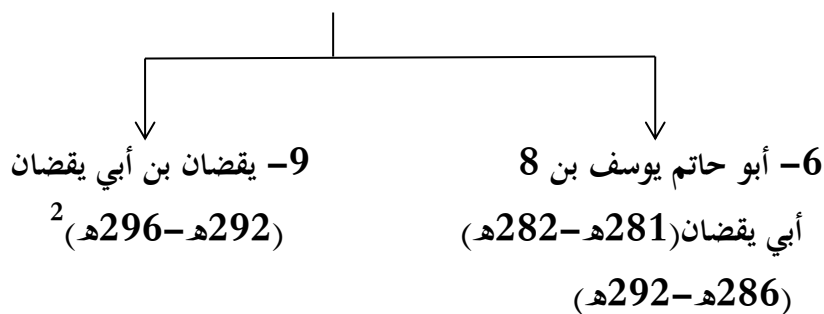
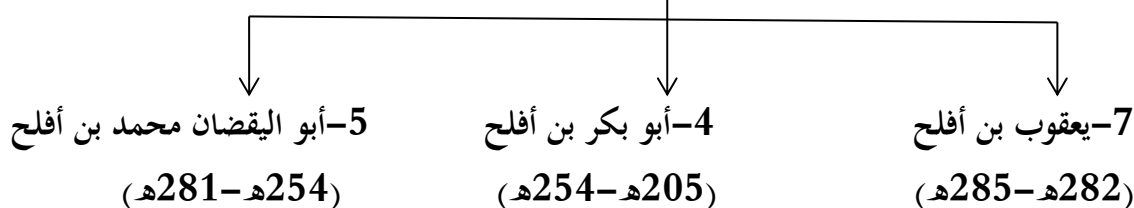
1-عبد الرحمن بن رستم (161هـ-168هـ)



2-عبد الوهاب بن عبد الرحمن (168هـ-188هـ)



3-أفلح بن عبد الوهاب (188هـ-205هـ)



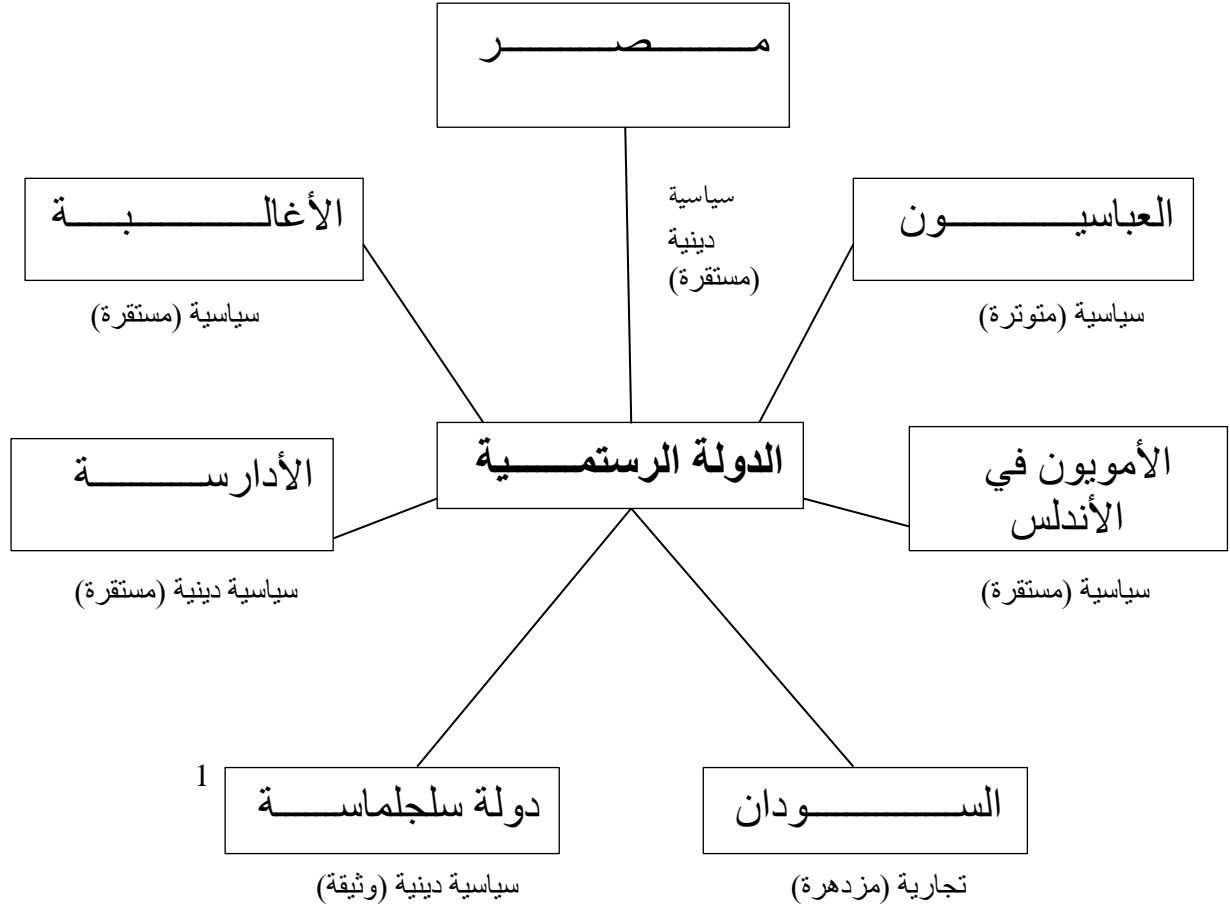
لقد بلغت الدولة الرستمية ذروة الازدهار السياسي أثناء حكم أسرة بني رستم الذي قام على توريث الحكم للأبناء لكن بمجرد تولي الشيعة الحكم اضمحل ذلك الازدهار , لأنهم إثر دخولهم إلى الدولة قاموا بتغيير ما كان سائدا على عهد بن رستم وأبناؤه .

1-ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب , تحقيق ومراجعة ج.س كولان, إ.ليني بروفنسال, دار الثقافة , بيروت , لبنان, ج1, ط3, 1983, ص:197

2-ينظر: المصدر نفسه , ص ص:197,198

- العلاقات الخارجية :

تعتبر الدولة الرستمية أولى الدول التي قامت مستقلة بعيدة عن الدولة العباسية , لها كيانها وسيادتها الفردية التي فرضتها على مواطنيها وأقاليمها المجاورة , وبطبيعة الحال وجب عليها أن تقيم علاقات خارجية متنوعة مع الدول البعيدة عنها والمجاورة لها على حد سواء , إما علاقات سياسية أو تجارية أو علمية ... إلى غير ذلك . والمخطط التالي يلخص هذه العلاقات ويوضحها في آن:



ب- الحياة الاقتصادية :

- الزراعة :

- كان الرستميون يمتلكون مجالات ضخمة من الأراضي الزراعية بالإضافة إلى وفرة المياه الكثيرة التي تحيط بالعاصمة تيهرت , فنجد السهول الساحلية للمغرب الأوسط , بالإضافة إلى المناطق الأخرى التابعة للدولة الرستمية في المغرب الأدنى حافلة بالمناطق الخصبة التي ترويه مياه العيون والآبار .
- كان أهالي جبال نفوسة يزرعون الزيتون والكرم والنخيل والشعير والخضر والفاكهة .
- اشتهر الرستميون بالصناعات الزراعية كعصر الزيتون وصناعة الزبيب والتمر .
- نشطت الزراعة أيضا في الواحات والمدن الصحراوية فاشتهرت واحة ورجلان بغابات النخيل .
- انتشار النطاقات الرعوية الواسعة التي دعمت اقتصاد الدولة بثروة حيوانية وفيرة ملأت أسواقها .¹

- الصناعة :

- ازدهرت الصناعة هي الأخرى في المجتمع الرستمي , لتلبي حاجات أفرادها , وكان ذلك بفضل توفر المواد الخام اللازمة لمختلف الصناعات .
- اشتهرت تيهرت بصناعة المنسوجات على اختلاف أنواعها الصوفية والحريرية.
- اشتهرت مدينة قابس بصناعة دبغ الجلود.
- تعدد المناجم التي أمدت الصناع بحاجاتهم ولوازم صناعاتهم , ففي جبل أرزوا توفر معدن الحديد والزئبق وخشب العطور .
- استخدام هذه المعادن انعكس على عمران تيهرت عاصمة الدولة.
- عرفوا الصناعة الفخارية والزخرف خاصة ما كان يستخدم من هذه الأواني لغرس الأزهار.²

- التجارة :

- لقد ذكرنا في عنصر العلاقات أن الدولة الرستمية كانت لها اختلافات مع بقية الدول , لكن الجيد في هذا الأمر أن تلك الاختلافات السياسية والمذهبية لم تكن حاجزا أمام التجارة وهذا أعطى دفعة قوية للرستميين في هذا المجال , خاصة وأن تيهرت تقع بين أشهر الطرق في ذلك الوقت , وكانت أبرز العلاقات التجارية في عهد الرستميين , قائمة بينهم وبين الأمويين في الأندلس , وبينهم وبين السودان , وأهم البضائع التي يصدرها الرستميون هي الحبوب ولا سيما الحنطة وماشية اللحوم والعبيد.³

1- ينظر المرجع السابق: ص ص 231,232

2- ينظر المرجع نفسه : ص 232

3- ينظر المرجع نفسه : ص 233

ج- الحياة الفكرية :

- عوامل نشوء الأدب الرستمي :

-لقد بلغ الأدب في العهد الرستمي أوجه , ويرجع الفضل في ذلك إلى أئمة الدولة الذين عرفوا بعلمهم الغزير وثقافتهم الواسعة , فهم رجال دين وعلم قبل أن يكونوا رجال دولة وحكم , حيث أصبحت "تيهت العاصمة العالمية للمذهب الخارجي يؤمها الخوارج من جميع الأرجاء , فأضحت بذلك مركزا ثقافيا يضاهي بغداد وقرطبة , فعرف الرستميون الثقافة ونبغوا في مناحيها منذ عهد سحيق وخصوصا الثقافة الدينية , لأن الأئمة الإباضيين كانوا علماء دين ورؤساء مذهب يتطلب منهم أن يكونوا ذوي ثقافة متينة , وأن يكونوا على أهبة للدفاع عن آرائهم بالحجة الدامغة .¹

-وحب العلم لدى الأئمة الرستميين جعلهم يتطلعون إلى الفنون والعلوم التي اشتهرت في مركز الخلافة العباسية , فقاموا بنقل ما يستطيعون من الكتب والمؤلفات والمخطوطات إلى دولتهم " حتى أن عبد الرحمن بن رستم ابتاع من البصرة دفعة واحدة حمل أربعين بعيرا من الكتب " , وأنشأوا أكبر مكتبة في تيهت وأطلقوا عليها اسم "المعصومة" , وقد ظلت تشع في بلاد إفريقيا طيلة أكثر من قرن . وازدهرت بذلك الفنون الأدبية , وأقيمت المجالس العلمية بين الأئمة وظلوا يتدارسون التفسير والحديث والفقه والكلام والأخبار والأشعار³ , فانتشرت المؤلفات واشتهر الأدباء ورجال العلم , فنجد " عبد الرحمن بن رستم قد برع في التفسير , أما ابنه عبد الوهاب فقد برز في العلوم الدينية , ونبغ أفصح في الأدب."⁴

-الأوضاع السياسية المضطربة بين الرستميين والعباسيين , والتي انجر عنها خلافات وصلت إلى حد قيام بعض الحروب بين الطرفين هذه الأخيرة خلقت وضعاً اجتماعياً وثقافياً مختلفاً عما كان سائداً قبلها , فالمآسي والمحن التي نتجت عن الاقتتال تطلبت لغة جديدة في قالب أدبي جديد يستطيع التعبير عنها وله القدرة على احتوائها , وفي هذا السياق يقول عبد المالك مرتاض: "...ومن أجل ذلك أيضا استمرت اللغة العربية في التوهج والتمكن , مصاحبة لتلك الفتن مواكبة لتلك المحن , معبرة عنها أو عن بعضها على الأقل."⁵

-يطرح مرتاض عاملا آخر كان له دور في نشوء وازدهار الأدب والثقافة , وعلى الرغم من أنه افتراض إلا أنه يقترب كثيرا من الصحة . ويتمثل هذا العامل في الجيرة , أي المجاورة بين الدولة الرستمية والدول الأخرى كالأدارسة والأغالبة التي تجمعها معها حدود مشتركة , فهذا يفترض حسب قوله وجود شيء من التنافس بين حكام الدول في تقريب الشعراء إلى مجالسهم , ومكافأهم بالجوائز والأموال لقاء مدحهم للدولة .⁶

-الرحلات العلمية التي كانت تمثل أرقى درجات طلب العلم في نفوس الرستميين , ومن أشهر الرحلات التي سجلها لنا التاريخ رحلة بكر بن حماد إلى المشرق وعودته بعد ذلك لنشر العلم⁷

1-محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري , ص: 73

2-عبد المالك مرتاض: الأدب الجزائري القلم , ص: 45

3-محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث , ص: 77

4-المرجع نفسه , ص: 77

5-عبد المالك مرتاض: الأدب الجزائري القلم , ص: 44

6-ينظر المرجع نفسه , ص: 51, 52

7-ينظر المرجع نفسه , ص: 52

- الأنواع الأدبية المشهورة :

- الشعر وأغراضه :

إن صفحات التاريخ حفظت لنا مقطوعات من النصوص الشعرية , وبعض الرسائل الأدبية "وإن كان ذلك الشعر لا يرقى من الوجهة الفنية إلى مستوى الشعر العربي في رقة أدبيته, وجمال ديابحاته , ودفق خياله وأناقته نسجه إلا اعتبارات واستثناءات , فإن العذر في ذلك أنه باكورة الشعر العربي القديم في الجزائر"¹

وقد عالج عبد المالك مرتاض الشعر الرستمي , حيث قام بطرح تساؤلات لكي يستطيع التعبير عن مدى قدرة الشعر في العهد الرستمي على مواكبة الشعر في المشرق والتفوق على فحول شعراء العصر العباسي , حيث يقول "أن الذي يتابع شعر بكر بن حماد ... ليعجب أشد العجب كيف استطاع هذا الشاعر الزناتي النازح من أقصى بلاد المغرب أن يقول الشعر في مستوى فحول شعراء بغداد."²

ومن أهم الأغراض الشعرية التي عرفت في الشعر الرستمي ما يلي :

- الوصف : هو خاصية جمالية لا مناص منها في أي أدب رفيع , وهو من المعايير الفنية التي تحدد بها جمالية أي أدب , فكلما كان الوصف يليق بالموصوف زادت قيمة العمل الأدبي , لذلك هو مكون أساسي من مكونات الخطاب الأدبي , على أن الوصف كان لازما للشعر أكثر منه للنثر خاصة في البدايات الأولى لكل أدب رفيع , وليس من العجيب أن نلفي الشعراء الرستميين في ذلك العهد المبكر من حياة الأدب الرستمي , يعمدون إلى الوصف , فهو هنا بمثابة معارضة تقتضي التفوق والتصدر فيه , ولذلك حاول الشعراء التفنن فيه لخلق التفرد والتميز.³

والوصف يصدر عن طبع وسليقة وهو كثيرا ما يرتبط بتجربة معاشة , أو بالظروف المحيطة بالشاعر, فمثلا نجد أن تيهرت اشتهرت ببرودة طقسها وغازة أمطارها وثلوجها الكثيفة , حتى قيل لبعض الظرفاء من أهلها : "كم الشتاء عندكم من شهر في السنة ؟ فقال : ثلاثة عشر شهرا"⁴ وفي ذلك يقول بكر بن حماد:

مَا أَحْشَنَ الْبَرْدَ وَ رَيْعَانَهُ	وَأَطْرَفَ الشَّمْسَ بَتَاهَرَتْ
تَبْدُو مِنْ الْعَيْمِ إِذَا مَا بَدَتْ	كَأَنَّهَا تُنْشَرُ مِنْ نَحْتِ
نَحْنُ فِي بَحْرِ بِلَا جُئَةٍ	تَجْرِي بِنَا الرِّيحُ عَلَى السَّمْتِ
نَفْرَحُ بِالشَّمْسِ إِذَا مَا بَدَتْ	كَفْرَحَةٍ الدَّمِيِّ بِالسَّبْتِ ⁵

1-عبد المالك مرتاض , الأدب الجزائري القديم , ص :47

2-المرجع نفسه , ص :60

3-ينظر المرجع نفسه , ص:61

4-ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب , ص :198

5-محمد بن رمضان شاوش : الدر الوقاد , ص:61

- المدح :

إن الشاعر الجدير بحمل لواء المدح في العهد الرستمي أكثر من غيره هو بكر بن حماد , على الرغم من شح النصوص الشعرية وضآلتها , وهو ما جعلنا نستشهد بشعره فقط , لأن ما وصلنا من ذلك العهد قليل إن لم نقل نادر , "يقول بكر بن حماد في مدح أمير الزاب أحمد بن سفيان:

وَقَائِلُهُ زَارَ الْمَلُوكَ فَلَمْ يَفِدْ فَيَا لَيْتَهُ زَارَ بَنِي سُفْيَانَ أَحْمَدًا
فَتَى يُخْطُ الْمَالَ الَّذِي هُوَ بِهِ وَيَرْضَى الْعَوَالِي وَالْحَامَ الْمَهْنَدَا

ويقول أيضا في مدح أحمد بن القاسم بن إدريس صاحب مدينة كرت :

إِنَّ السَّمَاخَةَ وَالْمُرْوَةَ وَالنَّدَا جُمِعُوا لِأَحْمَدَ مِنْ بَنِي الْقَاسِمِ"¹

عند استقراءنا لهذه الأبيات نجد أن فيها مبالغة كبيرة , إلا أنها أضفت عليها جانبا جماليا وفنيا جعلها ترقى إلى مصاف الشعر العربي الذي عهدناه عند شعراء المشرق.

- الغزل: لم يحظ الغزل عند الرستميين بالاهتمام المعهود الذي حظي به في العصر الجاهلي , حيث كان مكونا أساسيا من مكونات القصيدة العربية العمودية , على أن مكانته هذه قد عرفت تناقضا في عصر صدر الاسلام ولكن الغزل عاد من جديد بشكل ملحوظ في عهد الأمويين يليهم العباسيون , وبالرغم من أن دولة بني رستم عاصرت الدولة العباسية إلا أن الغزل لم يجد له مكانة كبيرة في شعرهم نظرا للصبغة الدينية التي عرف بها الأدب الرستمي , فأشهر شعرائهم عزفوا عن التشبب في قصائدهم , وعلى رأسهم بكر بن حماد الذي تركه رغبة منه وليس عجزا , لأنه كان راويا للحديث مشتهرا بزهده , فلو قال في الغزل قصائد لشابت سمعته في الرواية² وفي هذا المقام لا بد من ذكر بعض الأبيات التي وصلت إلينا في كتب المؤرخين , مع العلم أن صاحبها مجهول , لكن ثبت أنها من الأدب الرستمي:

"فَرَاغُ الْهَوَى شُغْلٌ وَ مَحْيَا الْهَوَى قَتْلٌ" وَيَوْمُ الْهَوَى حَوْلٌ وَبَعْضُ الْهَوَى كُلٌّ
وَجُودُ الْهَوَى بَخْلٌ وَ رِسْلُ الْهَوَى عَدَى وَ قُرْبُ الْهَوَى بُعْدٌ وَ سَبْقُ الْهَوَى مَطْلٌ"³

1-محمد بن رمضان شاوشي : الدر الوقاد ,ص: 75

2-ينظر عبد المالك مرتاض : الأدب الجزائري القديم , ص:66

3-ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب , ج 1 , ص:198

-الرثاء: على خلاف الغزل فالرثاء قد برز بشكل واضح في قصائد الرستميين , وما وصلنا منه بالتحديد ثلاث مقطوعات فقط , اثنتان منها لبكر بن حماد , والثالثة لأبي العباس فضل بن نصر التاهرتي وقد قاله كل واحد منهما في رثاء ابن له .¹ يقول بكر بن حماد:

"وهَوَّنَ وَجَدِي أَنِّي بَكَ لَأَحِقُّ وَأَنَّ بَقَائِي فِي الْحَيَاةِ قَلِيلُ
وَأَنَّ لَيْسَ يَبْقَى لِلْحَيَبِ حَبِيبُهُ وَلَيْسَ بِنَاقٍ لِلخَلِيلِ خَلِيلُ
وَلَوْ أَنَّ طُولَ الْحَزَنِ مِمَّا يَزِدُّهُ لَنَادَمْتِي حُزْنَ عَلَيْهِ طَوِيلُ

ويقول أبو عباس :

فَلَوْ كَانَتْ قَادِ النَّاسِ قَبْلِي بَيْنَهُمْ أُتِيحَ لَهُ مَوْتُ أَضْمَرَهُ قَبْرُ
إِذْ لَصَبَّرْتُ النَّفْسَ ثُمَّ احْتَسَبْتُهَا لِيَعْظُمَ لِي مِنْ بَعْدِ مِيتَتِهِ الْاجْرُ
وَلَكِنْ طَوْتُ عَنِّي الْمَقَادِيرُ امْرُهُ فَمَا لِي لَهُ مُنْذُ انْتَأَى شَخْصُهُ خَيْرٌ²

الآبيات السابقة خير شاهد على المستوى الفني الذي وصل إليه شعر الرستميين , فجزالة الألفاظ وفصاحتها إلى جانب الدقة في المعنى وسلاسته, هي أهم ما يميز هذه الآبيات , ويمكن أن نعزو ذلك إلى وقع حادثي المنية ومدى تأثيرهما في قلبي الشاعرين . وهذا ما ساعد على تحريك الملكة الشعرية لهما , فانثالت المعاني اثنيلا في قالب لغوي راق يضاف إلى حساب الشعر الرستمي.

-الزهد: قليل من الشعراء الذين ينحون هذا الاتجاه , ويخصون جل أشعارهم إن لم يكن كلها بالزهد , وهذا ليس لصعوبة الخوض في هذا الغرض , بل يرجع ذلك لحياة الشاعر وطبيعته التي يجب أن تكون متوافقة وما يقول؛ فالزاهد في الشعر يفترض أن يكون زاهدا في الحياة مكتفيا منها , والزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا , وعلى هذا لا يقال زاهد إلا لمن رغب عن المال والدنيا . ونجد أن هذا الغرض انتشر هو الآخر إلى جانب الرثاء والوصف في شعر بني رستم وكثر الخوض فيه , ونزد هذا إلى توافقه مع الطابع الديني الإسلامي الذي يطبع هذه الدولة , فالإسلام دستورهم , وتعاليمه قوانينهم , والزهد إن صح التعبير غرض أشعارهم وكذلك فقد تفوق بكر بن حماد أيضا في هذا الغرض , "فابن حماد كان بغريزته ميالا إلى أصحاب الزهد؛ أي من الناس الذين زهدوا في الدنيا وزينتها وأعرضوا عنها كل الإعراض , ولذلك نجد أن، الزهد هو الغالب على شعره"³

ومما قاله بكر بن حماد في الزهد:

"لَقَدْ حَفَّتِ الْأَقْلَامُ بِالْحُلُقِ كُلِّهِمْ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ خَائِبٌ وَ سَعِيدٌ
تَمَّرَ الْكِبَائِي بِالنُّفُوسِ سَرِيعَةً وَ يُبْدِي رِيَّ خَلْقَهُ وَ يُعِيدُ
أَرَى الْحَيَّرَ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ بِكَثْرَةٍ يَنْقُصُ نُقْصًا وَالْحَدِيثُ يَزِيدُ
فَلَوْ كَانَ خَيْرًا أَقَلَّ كَالْحَيَّرِ كُلِّهِ وَأَحْسَبُ أَنَّ الْحَيَّرَ مِنْهُ بَعِيدٌ"⁴

1- ينظر : عبد المالك مرتاض : الأدب الجزائري القديم , ص ص:67,69

2-أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية , دار الغرب الإسلامي , بيروت , ج 2 ط 2 , 1994 , ص 421,420

3-محمد بن رمضان شاوشي : الدر الوقاد , ص ص: 55,56

4- المرجع نفسه , ص: 75

- فن الرسائل :

بما أنه تم الاصطلاح على الانتاجات الأدبية والعلمية والفكرية للرستمين بمصطلح الأدب , فإن ذلك يعني أنها متنوعة ومتعددة تشمل جميع المعارف والعلوم كما تشمل جميع الفنون الأدبية نثرا وشعرا , والفنون النثرية تختلف من أدب إلى آخر؛ حيث يمكن أن يطغى فن على فن , وسنفرد حديثنا في هذا المقام على فن نثري واحد هو الرسالة , لأن ما وصلنا منها كفيل بدراستها لاستخراج خصائصها ومضامينها وأسلوب كتابتها على عكس الخطب التي لم يصلنا منها سوى خطبتين فقط.

وعلى الرغم من أن الخطب كانت تمثل دعامة أساسية من دعائم الأدب الرستمي حسب ما تذكره المصادر التاريخية , إلا أن هذين النموذجين فقط منها غير كفيلين بإعطائنا نتائج شاملة حول الخطب الرستمية كفن نثري قائم بذاته , إذ من غير المنطقي إطلاقا الحكم على الكل من خلال الجزء.

وإذا قلنا رسائل فنحن بصدد دراسة" فن تعبيرى عن الذات , فن يعبر عما يجول في الخاطر والنفس الباطنة , لها خصائصها ومميزاتها التي تنفرد بها, وتجعل لها مكانا بين باقي الفنون الأخرى ."¹ من أهمها أن المتلقي غائب في الواقع حاضر في الذهن , لكن الرسالة التي نتحدث عنها هي الرسالة الرستمية , التي لها من الخصوصية ما يميزها عن غيرها من المستوى الثقافي والطبيعة المذهبية لأطرافها (المرسل والمرسل إليه) . هذا الأخير الذي يجسده طرفان: الرعية من جهة وولاية هذه الإمارة من جهة أخرى , وبالنسبة الى الرسائل التي نتحدث عنها فقد جمع الباروني بعضها في كتابه "الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية " وهي كالتالي:

-الأمير أفلح بن عبد الوهاب : جمع له أربع رسائل .

-الأمير محمد بن أفلح : نجد له رسالة واحدة.

-أبو العباس التاهرتي: عثر له على رسالة واحدة تشابه في شكلها ومضمونها الرسائل الأندلسية والمشرقية , مما يدل على وجود تواصل وثيق بين أدباء الحضارة الإسلامية آنذاك .²

1-إبراهيم عوض : فنون الأدب في لغة العرب , دار النهضة العربية , القاهرة , دط , 2008 , ص:102

2-ينظر : عبد المالك مرتاض : الأدب الجزائري القديم , ص:92 , 93

مضمون الرسائل الرستمية :

لا يخرج مضمون الرسائل الرستمية عن نطاق النصح و الوعظ , والتوعية والإرشاد, وقضية الترغيب والترهيب وكذلك التذكير بالله عز وجل وحمده وشكره , فنحن هنا كأننا ندور في نفس دوامة مواضيع أو مضامين الشعر والخطب ؛ فهي لم تخرج عن النطاق الديني نظرا للارتباط الوثيق الذي يربط أدباء العهد الرستمي بالدين . ولم تشكل هذه الصبغة الدينية أي عائق في قول الشعر أو كتابة الرسائل , بل كانت عاملا مساعدا ومميزا على ذلك , فالنصوص وليدة بيئتها , تخضع لكل جوانبها الدينية والسياسية والثقافية والاجتماعية والسياسية .

والمقطع الذي سنورده من الرسالة الثانية لأفلق بن عبد الوهاب , والتي عنوانها الباروني بالرسالة الثانية للإمام أفلق إلى المسلمين سيؤكد أن مضمون الرسائل الرستمية لم يخرج عن إطار الوعظ والنصح والتذكير بالله :

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
من أفلق بن عبد الوهاب إلى ...

أما بعد : ألبسنا الله وإياك عافيته وكفانا وإياك مهمات الأمور برحمته , كتبت اليك وأنا ومن قبلي من خاصيتي والرعية عامة على أحسن حال جرت به عادة الله , وتواترت به نعمائه فله الحمد كثيرا والشكر دائما. أتاني كتابك بالذي أحب علمه من سلامتك وحسن حالك وتواتر نعم الله عليك وإحسانه إليك وإلى من قبلك من الرعية ..."¹

خصائص الرسائل الرستمية :

-**الاقتباس القرآني**: وهو خاصية تميز الأدب الرستمي بصفة عامة , والرسائل بصفة خاصة , لأن القرآن دستورهم يهتدون بهديه, ويتدبرون آياته ويعملوا بها , وهو فوق الجميع" ويتجلى هذا الاقتباس من خلال رسالة أفلق بن عبد الوهاب ورسالة ابنه محمد بن أفلق إلى الرعية . فنجد بعض الأمثلة وهي:

-بسم الله الرحمن الرحيم

-اصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور

-الطيب و العمل الصالح يرفعه ليوم تشخص فيه الأبصار."²

-**الإيقاع**: إذا قلنا إيقاع فنحن نتحدث عن الشعر, فكيف يكون هناك إيقاع ونحن قلنا أن الرسائل جنس أدبي قائم بذاته له خصائصه التي تميزه عن غيره ؟. الإيقاع نوع من التأثير في السامعين. وبما أن الرسائل كانت تقرأ على مسامع الناس ,فإن هذا يستوجب أمرا لا مناص منه , هو أن على كتاب الرسائل التألق في رسائلهم وأن يجودوا في عباراتهم , وأن ينسجوا رسائلهم بشكل احترافي . وهذا الإيقاع يأتي تلقائيا من خلال السجع والاستعانة بالقرآن الكريم بقوة بلاغته ونظمه وإيقاعه , فهو يخلق إيقاعا متناسقا لا يستطيع السامع مقاومته , لأنه يلامس قلبه مباشرة.³

1- الباروني :الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية , دب , دط , دس , ص :97

2-عبد المالك مرتاض : الأدب الجزائري القديم , ص ص:98,99

3-ينظر: المرجع نفسه , ص:101

- رواد الأدب الرستمي:

عرف الأدب الرستمي تطوراً سريعاً جداً منذ البدايات الأولى لتشكله , حيث استطاع في فترة وجيزة أن ينافس الأدب العباسي وأن يزاخمه على كرسي الريادة , ويرجع الفضل في ذلك إلى جملة من الرواد الذين تربعوا على عرش الأدب الرستمي , فقاموا بتطويره والتعريف به عند رجال العلم والأدب من كافة البلدان الأخرى , وقد ساهم كل واحد من هؤلاء الرواد بكل ما يستطيع من أجل الارتقاء بأدبهم والنهوض به , كل والمجال الذي يبرع فيه , فمنهم الرواة والأدباء والشعراء , والفقهاء والمفسرون وغير ذلك .

عندئذ بلغت حركة التأليف أوجها في ذلك المكان حديث العهد بنور الحضارة العربية الإسلامية , وكانت مكتبة المعصومة بتيهرت عاصمة الدولة الرستمية , هي المكان التي توضع فيها هذه المؤلفات لحفظها من جهة , ولكي يستطيع الناس الاستفادة منها من جهة أخرى . ولم تقف هذه الحركة التأليفية عند هذا الحد , بل عرفت تطوراً كبيراً بعد تلك الفترة حيث ظهر جيل ثاب من العلماء الأجلاء أثروا الثقافة العربية الإسلامية في المغرب الأوسط , وسالت أقلامهم تنقش من الدرر الثمينة والنفائس ما تفتخر به الدولة الرستمية وتعزز , وكثرت المؤلفات في معظم المعارف خاصة المتداولة في الحضارة الإسلامية كالفقه والتفسير ورواية الحديث والعقيدة واللغة والأدب¹ ونذكر من هؤلاء النوابغ:

-**الأمام أفلح**: "هو أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان , ضرب في زحمة كل فن من فنون العلم , ونبغ في الأدب وقال الشعر , ويثبت التاريخ "أفلاح" رسائل وخطب يتناولها بأسلوب سهل واضح يساير العصر ويواكب الظروف ويظهر فيها سياسياً محنكا وناثراً خانقا وخطيباً بليغاً . يقول في مدح العلم:

الْعِلْمُ أَبْقَى لِأَهْلِ الْعِلْمِ آثَارًا	يُرِيكَ أَشْخَاصَهُمْ رَوْحًا وَأَبْكَارًا
حَتَّى وَإِنْ مَاتَ دُوْ عِلْمٍ وَدُوْ وَرَعٍ	مَا مَاتَ عَبْدٌ قَضَى مِنْ ذَلِكَ أَوْطَارًا
وَدُوْ حَيَاتٍ عَلَى جَهْلِهَا وَمَنْقَصَةٍ	كَمَيِّتٍ قَدْ تَوَى فِي الرَّئْسِ أَعْصَارًا
لِلَّهِ غُضْبَةٌ أَهْلَ الْعِلْمِ إِنْ هُمْ	فَضَّلَا عَلَى النَّاسِ عُيَابًا وَ حُضَارًا ²

وهي قصيدة طويلة جداً تتجاوز الثمانين بيتاً تدل على حكمة صاحبها وتبجيله للعلم وأهله , ووعيه التام بأهميته في النهوض بالأمم وبناء الحضارات , إضافة إلى أسلوبها الذي ينم عن حظ وافر من البلاغة والفصاحة والتمكن من اللغة ومفرداتها وقواعدها .

1- ينظر أحمد شوقي بنين : الكتاب العربي المخطوط في شمال إفريقيا وجنوبي الصحراء , الرباط , دط , دس , ص ص: 174, 175

2- محمد الطمار : تاريخ الأدب الجزائري , ص: 74

- أبو العباس التاهرتي: "هو أبو العباس فضل بن نصر التاهرتي , كان عالما بالمذهب الشافعي ويقول الشعر ومن ذلك قوله :

بَلَّغَ الْوُشَاةَ عَلَيَّ حَيْثُ أَرَادُوا وَاللَّهُ يَسْأَلُهُمْ وَمَا قَدَ كَادُوا
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مَا قُلْتُ مَا قَالَ الْوُشَاةُ تَأْفُكًا وَأَعَادُوا
فَهَبِ الْوُشَاةَ أَتَوْا بِأَمْرِ بَيْنِ أَيْنَ الْكِرَامِ أَبَدَلُوا أَمْ بَادُوا
عَفْوِ الْمُلُوكِ عَنِ الذُّنُوبِ مَدَائِحِ مَدَحُوا نَفْسَهُمْ بِهَا فَأَجَادُوا

وكان أبو العباس لما فقد ابنه اختلفت عليه الأخبار فيه , فمن قائل له أنه قتل , وقائل : أنه مات , وقائل : أنه حي , ومن مخبر أنه غرق في البحر , فقال في أمره وأحسن القول :

فَلَوْ كَافَتْ قَادِ النَّاسِ قَبْلِي بَيْنَهُمْ أُتِيحَ لَهُ مَوْتُ وَأَضْمَرَهُ قَبْرُ
إِذْ لَصَبَّرْتُ النَّفْسَ ثُمَّ احْتَسَبْتُهُ لِيَعْظُمَ لِي مِنْ بَعْدِ مَيْتَتِهِ الْأَجْرُ
وَلَكِنْ طَوْتُ عَنِّي الْمَقَادِيرَ أَمْرُهُ فَمَا لِي بِهِ مِنْذُ انْتَأَى شَخْصُهُ خَبْرُ
فَرَحْمَتِكَ اللَّهُمَّ قَدْ بَلَغَ الْأَسَى مَحَايَةَ جَهْدِي وَقَدْ غَلَبَ الصَّبْرُ¹

- البزاز: هو أبو الفضل أحمد بن القاسم التميمي البزاز, أقبل منذ صغره على العلم , فأتقن فنونه وتصدر للإقراء روى عن علماء كثيرين منهم أبو عمر بن عبد البر .

- أبو سهل : كان يحسن زيادة على العربية اللهجة البربرية , ألف فيها مصنفات احترقت في الفتن التي أصيبت بها تيهرت أواخر الحكومة الرستمية سنة 305هـ-917م , وناهيك برجل تولى خطة الترجمة للإمامين أفلح ويوسف .

- ابن الصغير : هو الصالح المؤرخ , خلف لنا كتابا قيما نجد فيه أخبار الأئمة الرستميين, استعمل فيه أسلوبا بسيطا نعثر فيه أحيانا على تراكيب أقرب الى العامية منها إلى الفصحى .

- يهودا بن قريش التاهرتي : عاش في القرن الرابع الهجري . كان يحسن العربية والعبرانية والبربرية والآرامية والفارسية , وقد اهتم بالبحث في اللغات , وحاول المقارنة بين العبرانية والعربية والبربرية , فهو بذلك واضع أساس النحو التنظيري , وكتابه في ذلك باللغة العربية وجد في مكتبة "أوكسفورد" بإنجلترا ويعد أنفس كتاب في الموضوع.²

1- المالكي : رياض النفوس , ص : من 419-421

2- ينظر: محمد الطمار : تاريخ الأدب الجزائري , ص : 76

-بكر بن حماد:

من أشعر شعراء بني رستم وهو أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سهل بن أبي إسماعيل الزناتي , من مواليد تيهرت حوالي سنة 200هـ-816م, نشأ بها وعرف منذ صغره بحبه الشديد للعلم والاشتغال به , فنبغ بين أقرانه وتلمذ على يد مشاهير علماء بلده.

كانت معظم سنوات حياته عبارة عن رحلة شريفة في طلب العلم , جال خلالها أصقاع الأرض شرقا وغربا , بدأها عندما كان يبلغ من العمر 17 سنة , وكانت القيروان أولى المحطات في رحلته , مكث فيها مرحلة من الزمن أخذ خلالها الكثير عن علمائها أمثال سحنون صاحب المدونة , وواصل بعدها رحلته باتجاه الشرق فحط رحاله في مدينة العلم والعلماء بغداد واتصل بعلمائها وأخذ عنهم , وكان من بينهم (أبو مسدد) و(عمر بن مرزوق) و(بشر بن حجر) , ولقي أديبا لهم ذكر وصيت منهم (أبو تمام ودعبل الخزاعي وعلي بن الجهم ومسلم بن الوليد وابن الأعرابي والرياشي وابن حاتم السجستاني) فصاحبهم , وكانت له معهم مساجلات أدبية أسفرت عن ثبوت قدمه في الآداب وفي صناعتي الشعر والنثر.

وتقرب بكر كغيره من الشعراء إلى خلفاء الدولة العباسية , وقال فيهم الشعر الرائق , وامتحدهم بالقصائد والأبيات والمقطوعات , فكسب ودهم ونال إحسانهم , فأغدقوا عليه من فضلهم كغيره من أديباء وشعراء البلاط وبعد هذا كله قفل راجعا إلى مسقط رأسه , فدخل في طريقه القيروان سنة 274هـ-887م واستقر بها . ولم يلبث أن نزل بها حتى انهمال عليه الطلبة من كل فج و صوب , فذاع صيته وانتشرت أخباره وترامت شهرته حتى وصلت إلى الأندلس , فقصدته الكثير من أهلها للأخذ عنه والتخرج على يده , وقربه بنو الأغلب إليهم فقال فيهم القصائد الرائعة , ونال منهم الجوائز الثمينة .

لكن مكوته في تلك البقاع لم يدم طويلا , حيث عاد إلى موطنه وأرض أجداده تيهرت سنة 295هـ-907م وتربع على عرش أديبائها وأصبح حجتهم , وقال من الشعر الساحر الكثير في أمراء بني رستم , فنال من فضلهم وحظي عندهم بمكانة يحسد عليها , وقد شهد ببراعته العلمية في الأدب وبشاعريته الكثير من الأديباء .

توفي بكر بقلعة ابن حمة , شمال مدينة تيهرت , وذلك في شوال سنة 296هـ-909م, في نفس السنة التي قضى فيها العبيديون على بني رستم .¹ ومن شعره :

قُلْ لَابْنِ مُلْجِمٍ وَالْأَقْدَارُ غَالِيَةٌ
فَتَلَّتْ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ
وَأَعْلَمَ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ ثُمَّ بِمَا
صَهَرَ النَّبِيَّ وَمَوْلَاهُ وَنَاصِرُهُ
هَدَمْتَ وَبِنِكَ لِلْإِسْلَامِ أَرْكَانًا
وَأَوَّلَ النَّاسِ إِسْلَامًا وَإِيمَانًا
سَنَّ الرَّسُولُ لَنَا شَرْعًا وَتَبَيَّنَانَا
أَضَحَّتْ مَنَابِقُهُ نُورًا وَبُرْهَانًا²

1- ينظر : محمد الطمار : تاريخ الأدب الجزائري , ص ص: 77, 78

2- محمد رمضان شاوشي : الدرر الوقاد. ص: 62

الفصل الثاني : النسق في النقد الثقافي

1/ مفهوم النسق :

أ- الدلالة اللغوية

ب- الدلالة الاصطلاحية :

- عند الغرب

- عند العرب

2/ أنواع الأنساق :

أ- خارجي

ب- داخلي

ج- معلن

د- مضمّر

3/ مميزات النسق

4/ آليات الكشف عن النسق

5/ علاقة النسق بالنقد الثقافي

1/ مفهوم النسق:

أ- الدلالة اللغوية:

يشتغل النقد الثقافي على أساس الانتقال من الحدود النسقية الى الحدود السياقية والثقافية, وهو يعد من اهم التوجهات الحديثة التي دخلت الى الفكر النقدي , وكان من نتائجه إزاحة التمرکز اللغوي ليحل محله الخطاب الثقافي الذي يتكون من مصطلح محوري ألا وهو النسق , ولأنه محور هذا التوجه الجديد كان لا بد طرح تساؤل جوهري حول مفهومه وأنواعه وخصائصه وآليات الكشف عنه , بداية بدلالته اللغوية فنجد ابن منظور يعرفه بقوله: " نسق النسق من كل شيء , كان على طريقة نظام واحد في الأشياء ... نسق الشيء ينسقه نسقا ونسقه نظمه على السواء ..."¹ , فالنسق إذا حسبه هو الشيء المنتظم على طريقة واحدة , وهذا ما يوافق فيه الزمخشري في كتابه أساس البلاغة حيث يقول : " ... ومن المجاز كلام متناسق أي جاء على نسق ونظام ..."² . كما نجد أن النحويين يتبنون هذا الطرح أيضا فهم " يسمون حروف العطف بحروف النسق"³ , لأن وظيفتها تتمثل في تنظيم التراكيب وربط بعضها ببعض داخل النص .

ب- الدلالة الاصطلاحية :

- عند الغرب :

يعتبر النسق مفتاح القراءة الثقافية , وهو كلمة تستخدم في الخطاب الأدبي وغير الأدبي , وقد أولى النقد الغربي اهتماما بارزا لهذا المصطلح , فنجد كلا من جان بياجيه وتالكوت بارسونز من الأوائل الذين حاولوا التأسيس لهذا المصطلح , مع ان النسق عندهم لم يخرج عن مفهوم النظام .
فجان بياجيه يربطه بالنص من الوجهة البنوية , يقول : " إن النسق نظام ينطوي على استقلال ذاتي يشكل كلا موحدًا , وتقترن كليته بأنية علاقاته التي لا قيمة للأجزاء خارجها"⁴ . هذا النص يستمد روحه من تركيز البنيويين على الشيفرات النسقية وأنظمتها التي هيمنت على المركز , وأزالت الذات التي كانت مهيمنة , والنتيجة هي أن النسق عند البنيويين ما هو إلا بنية داخلية تتكون من عناصر تعمل فيما بينها ضمن علاقات .

1- ابن منظور : لسان العرب , دار صادر للطباعة , بيروت , مج3 , ط3 , 2004 , ص: 247

2- أبو القاسم الزمخشري : أساس البلاغة , دار الكتب العلمية , بيروت , ج2 , ط1 , 1998 , ص: 266

3- مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط , مكتبة الشروق الدولية , مصر , ط4 , 2004 , ص: 919

4- ادِيث كرينويل : عصر البنيوية , تر: جابر عصفور , دار سعاد الصباح , الكويت , ط1 , 1993 , ص: 215

أما تالكوت بارسونز فإنه يربط النسق بالمجتمع , ويرى أن النسق بمثابة " نظام ينطوي على أفراد " ¹ , بمعنى العرف والتقاليد التي تشكل تفاعلا مع المجتمع .

إضافة إلى ما سبق سنتناول مجموعة من المقولات المشهورة عند بنيويين الذين يربطون النسق بالبنى الاجتماعية , وهذا ما ذهب إليه كل من : دي سوسير , جاكسون , ليفي شتراوس , فنجد هذا الأخير يقر بأن النسق نظام , وأنه يجب على هذا النظام أن يحمل أكثر عدد ممكن من المحمولات الاجتماعية وغيرها , لأن النسق الأدبي عنده يفسر في ضوءه أنساق ثقافية تشكل البنى التحتية للمجتمع , وفي هذا السياق سار أيضا كل من دي سوسير و جاكسون حيث درسا اللغة من حيث علاقتها بالبنى الاجتماعية بالإضافة إلى دراستها من حيث هي نسق من الرموز . ² أما الشكلاونيون الروس فقد ذهبوا إلى جعل "النسق الأدبي يمثل الأشكال والمعايير الثقافية المتنوعة" ³ .

من المسلم به أن الخطاب بشكل عام شبكة من الأنساق , تربط بينها علاقات تعمل متضافرة لإبراز أيديولوجيا أو سياسة أو قوانين اجتماعية معينة, ولقد اسهب ميشال فوكو في الحديث عن مصطلح الخطاب الذي يعتبر كفيلا باستيعاب كل مظاهر الحياة وأشكالها ؛ فغذا درسنا قصيدة ما سنجد أن أنساقها المضمرة قادرة على إبراز المركز والهامش والمسيطر والمسيطر عليه في العصر الذي نظمت فيه ⁴ , لأن الأنساق الثقافية المضمرة هي ما لا تقوله الكلمات الخطية تأتي متخفية بين السطور مهمتها إبعاد القارئ عن معاني النص , وفي مجال البحث عن المضمرة يجب على القارئ أن يكون مثقفا مطلعاً على ظروف عصر ذلك الخطاب , وما سبقه من أحداث وما لحقه , لأنه بصدده فك تشابكات ثقافة ذلك المجتمع لهذا وجب على نقاد النقد الثقافي "الاطلاع على الاتجاه النسوي أو الماركسي أو الفرويدي أو الأنثروبولوجيا" ⁵ .

1- يوسف عليمات : جماليات التحليل الثقافي في الشعر الجاهلي أمودجا , دار فارس للنشر والتوزيع , الأردن , ط 2 , 2004 , ص: 40

2- ينظر: عبد العزيز حمودة : المرآيا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك , عالم المعرفة , دب , دط , 1998 , ص: 234

3- مجموعة من الكتاب : مدخل الى مناهج النقد الأدبي , تر : رضوان ظاظا , المجلس الوطني للثقافة والفنون , الكويت , دط , 1997 , ص: 214

4- ينظر جون ستروك : البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا , تر : محمد عصفور , المجلس الوطني للثقافة والفنون , الكويت , دط ,

1996 , ص: 144

5- أرثر ايزنبرجر : النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية , تر : وفاء إبراهيم , المجلس الأعلى للثقافة , دب , ط 1 , 2003 , ص: 38

- **عند العرب**: الفعل الإبداعي لا يتأسس من فراغ ولا يخلق من عدم ؛ فهو فعل تراكمي وحوار مستمر بين المبدعين والمفكرين والنقاد ، لذلك أفاد العرب من الغرب في التنظير لهذا التوجه الجديد ، وهذا ليس بعيب لأنها علاقة تأثير وتأثر ، فنجد بسام قطوس يؤكد على ان الإفادة من الغرب تمثل علاقة تبادل للأفكار ، يقول : "لا ضير علينا أن نفيد من علوم الغرب ونظرياتهم ما دمنا نفهم ذلك ونعبر عنه بلغتنا"¹ ، بمعنى ان الإفادة من مناهج الغرب مهما اختلفت مرجعياتها وإجراءاتها التطبيقية والخلفيات المعرفية لها ، لا تحتسب مأخذا على النقاد العرب ، لأن المعرفة تراكمية مستمرة في حلقة تبادلية .

اجتهد كل من محمد مفتاح وعبد الله ابراهيم في تحديد مفهوم النسق ، حيث يجعل الأول النسق أقرب إلى نواة الذرة التي تحمل عناصر وأجزاء صغيرة تترابط فيما بينها ، وهذا الترابط والاتحاد لا يلغي مميزات كل عنصر² ، أما الثاني فقد وصف النسق بأنه أساس النقد الثقافي بقوله: "إن النسق يشكل محورا مركزيا في مشروع النقد الثقافي"³ وهذا الوصف لا يلغي ديناميكية وحركية النسق التي تساهم في توليد معاني جديدة وإيجاءات لا متناهية . كما أن النسق لا يتحدد عبر وجوده المجرد وإنما من خلال ما يؤديه من وظائف وهذا ما سنراه مع منظر النقد الثقافي عند العرب الباحث السعودي عبد الله الغدامي الذي كان من المنظرين الأوائل والمتخصصين في البحث في مجال المضمرة ، وقد ايقن هذا الباحث بان الثقافة هي المؤلف الخفي لتلك الأنساق التي تحمل في ثناياها قوانين ومفاهيم شكلتها الثقافة لتتحكم في المجتمع ، وقد أكد هذه الفكرة برهان غليون بقوله : "وليست الأنساق عامة والأنساق الثقافية خاصة غلا المجتمع نفسه ... فالثقافة موجودة حاضرة ومتخفية في الأنساق وليست محصورة في مكان معين ..."⁴ ، وقد انفرد عبد الله الغدامي عن غيره من النقاد في محاولة طرحه لمفهوم جديد للنسق الذي اعتبره مفهوما مركزيا ، يكتسب قيما دلالية وسمات اصطلاحية تميزه عن غيره.

1- بسام قطوس : استراتيجيات القراءة والتأصيل والإجراء النقدي ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، اربد الاردن ، دط ، دس ، ص ص :11،12

2- ينظر : محمد مفتاح : التشابه والاختلاف ، . المركز الثقافي ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1996 ، ص:158

3- عبد الله ابراهيم ، منذر العياشي وآخرون : عبد الله الغدامي والممارسة النقدية والثقافية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، دب ، ط1 ، 2003 ص: 46

4- برهان غليون : اغتيال العقل محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط4 ، 2004 ، ص:84

لقد اجتهد عبد الله الغدامي في التنظير للنقد الثقافي , ومع ذلك فإنه لم يعرف النسق ؛ بل قام بوضع شروط له تمكننا من كشف الحيل التي تمارسها الثقافة لتمرير أنساقها تحت الأفتنة , ولعل " أهم هذه الحيل هي الحيلة الجمالية التي من تحتها يجري تمرير أخطر الأنساق وأشدها تحكما فينا " ¹ , ويتحدد النسق عند الغدامي "عبر وظيفته وليس عبر وجوده المجرد , والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد , وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من انظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمّر , ويكون المضمّر ناقضا وناسخا للظاهر , ويكون ذلك في نص واحد ويشترط في النص أن يكون جماهيريا وجماليا " ² .

المقصود من هذا الكلام أن النسق في مفهومه المجرد لا يتعدى كونه عنصرا عاديا ؛ أي ثابتا لا يؤثر ولا يتأثر إلا عندما يكتسب وظيفة داخل النص تجعله بالضرورة متحركا مؤثرا ومثأثرا , ولا يكون ذلك إلا إذا كان هناك نسقان متناقضان ظاهر ومضمّر , ولكي يتحقق هذا التناقض يشترط في النص أن يكون جماليا جماهيريا موجها لكل فئات المجتمع وطبقاته وليس فئة بعينها .

1- عبد الله الغدامي : النقد الثقافي قراءة في الأنساق العربية , المركز الثقافي العربي , الدار البيضاء المغرب , ط3 , 2005, ص:77

2- المرجع نفسه :ص:77

2/ أنواع الأنساق :

اختلف النقاد في تقسيم أنواع الأنساق الثقافية لأنها عديدة ومتنوعة منها النسق الداخلي والخارجي , والنسق الأدبي والسيميوطيقي , وآخرها المضمّر والمعلن , وسنحاول في عجلة أن نبسط هذه الأنواع :

أ-النسق الخارجي : "نسق كلي يتألف من الأنشطة والمشاعر والتفاعلات الثقافية والفكرية , يوجه نحو البيئة الخارجية , فالنسق الخارجي للأثر الأدبي هو بنية الوسط الذي ظهر فيه , والذي يتلقى منه عددا من المؤثرات المباشرة وغير المباشرة , وتظهر بوجه خاص في موضوع الأثر في طريقة تصويره للعالم الخارجي"¹.

ب-النسق الداخلي : "هو التنظيم الذاتي الذي يشتمل عليه الأثر , إلى جانب التفاعلات الموجهة نحو وحداته الذاتية أي التنظيم الذي ينطوي على اتجاهات وعلاقات الوحدات الشكلية أو اللغوية , وعلاقات هذه الوحدات بعضها ببعض"².

فالنسق الخارجي هو المتمثل في البيئة والوسط الذي ينشأ فيها الأثر الأدبي , أما النسق الداخلي فيتكون من العلاقات اللغوية والبلاغية التي تربط بين وحدات النص .

أما بالنسبة للنسقين الأدبي والسيميوطيقي فإنهما يتحدان من فكرة أن النقد الثقافي مسخّ لكل الأنساق الثقافية المتوارية في الخطاب الأدبي , اللغوية وغير اللغوية . ومن خلال الطرح البنيوي الذي يضع النسق الأدبي في مقابل النص الأدبي.

ج-النسق المعلن : الأنساق المعلنّة هي أنساق ظاهرة وسطحية . المعنى فيها مباشر يسهل القبض عليه , ودلالاتها واضحة ومباشرة , وهي خارج إطار اهتمامات التوجه الثقافي لأنها تقدم المعنى جاهزا دون إتعاب للفكر , وهذا الأمر يحد من نطاق التأويل وإنتاج المعاني الجديدة , ويعرفها عبد الله الغدامي بقوله : " النسق المعلن هو النسق الظاهر والمعلن من الخطاب"³.

د-النسق المضمّر : هو محور الدراسات والبحث والاستنباط في مجال النقد الثقافي لأنه يزيد الهوة بين القارئ ومعاني النص , ويتطلب الكشف عنه جهدا فكريا لأنه يقدم المعاني بطريقة غير مباشرة تتعب الذهن وتتطلب ثقافة أوسع ومعرفة بمناهج النقد الأدبي .

1-سمير حجازي : مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر , دار التوفيق , بيروت لبنان , ط 1 , 2004 , ص: 162

2- المرجع نفسه: ص: 162

3-عبد الله الغدامي : النقد الثقافي , ص: 71

إن النسق المضمّر هو ممثل الثقافة في مسرحها , هي التي تسيّره وتتحكم فيه , فهي تزوده بالمعارف , وهذه الفكرة طرحها إدوارد سعيد في حديثه عن الثقافة : "... غن الثقافة بمقدورها بفضل موقعها الرفيع أن تهيمن وتحلل وتعرف , وأن تخفض من منزلة شيء ما أو ترفع من مقامه"¹ , فالثقافة ترسل نفسها من خلال هذه الأنساق بطريقة ترميزية تجعل من الصعب علينا أن نكشفها , لكنها متحركة فينا رغم اختلافاتها وتواربها ويمكن القول أن "الصياغة المضمرة في الخطابات هي ضرب من ضروب الكلام المرموز"² , ويرجع اهتمام النقد الثقافي بالنسق المضمّر إلى إهمال النقد الأدبي لهذا الجانب المتخفي من النص فهو يحصر اهتمامه فقط بالإطار الجمالي النسقي ويلغي الجانب السياقي , لذا جاء النقد الثقافي ليجمع بين ما هو سياقي وما هو نسقي من أجل البحث عن المضمّر الذي صار مركز اهتمامه , يقول الغدّامي : " المضمّر النسقي لم يكتبه كاتب فرد , ولكنه وُجد عبر عمليات من التراكم والتواتر حتى صار عنصرا نسقيا يتلبس الخطاب ورعية الخطاب من مؤلفين وقراء"³ . وقد ذكر الغدّامي القارئ أيضا في قوله , لأنه في نظرية القراءة والتلقي يتمثل المضمّر في ما نبحت عن قراءته في مواقع اللا تحديد أو ما يسمى بالفجوات أو البياضات النصية , وهذا يتطلب جهدا كبيرا . ففي ملء الفراغات كما يقول آيزر " يجب استحضار المقاطع النصية"⁴ شرط أن يكون هناك تفاعل بين هذه المقاطع , مع استحضار كل العلوم والمعارف للكشف عن هذا المضمّر الذي تتخفى في ظله الثقافة , وتسعى من خلاله إلى إرسال وتقرير ما تحتويه من آراء ومعارف وأعراف وأحكام.

يمكن أن نخلص إلى أن النسق المضمّر في النقد الثقافي يقابل الفراغات في نظرية القراءة والتلقي , لان كليهما يمثلان موضوعا للبحث حتى وإن كانت طريقة الكشف عنهما مختلفة .

1- إدوارد سعيد : العالم والنص والناقد , تر : عبد الكريم محفوظ , منشورات اتحاد الكتاب العرب , دب , دط , 2000 , ص: 13

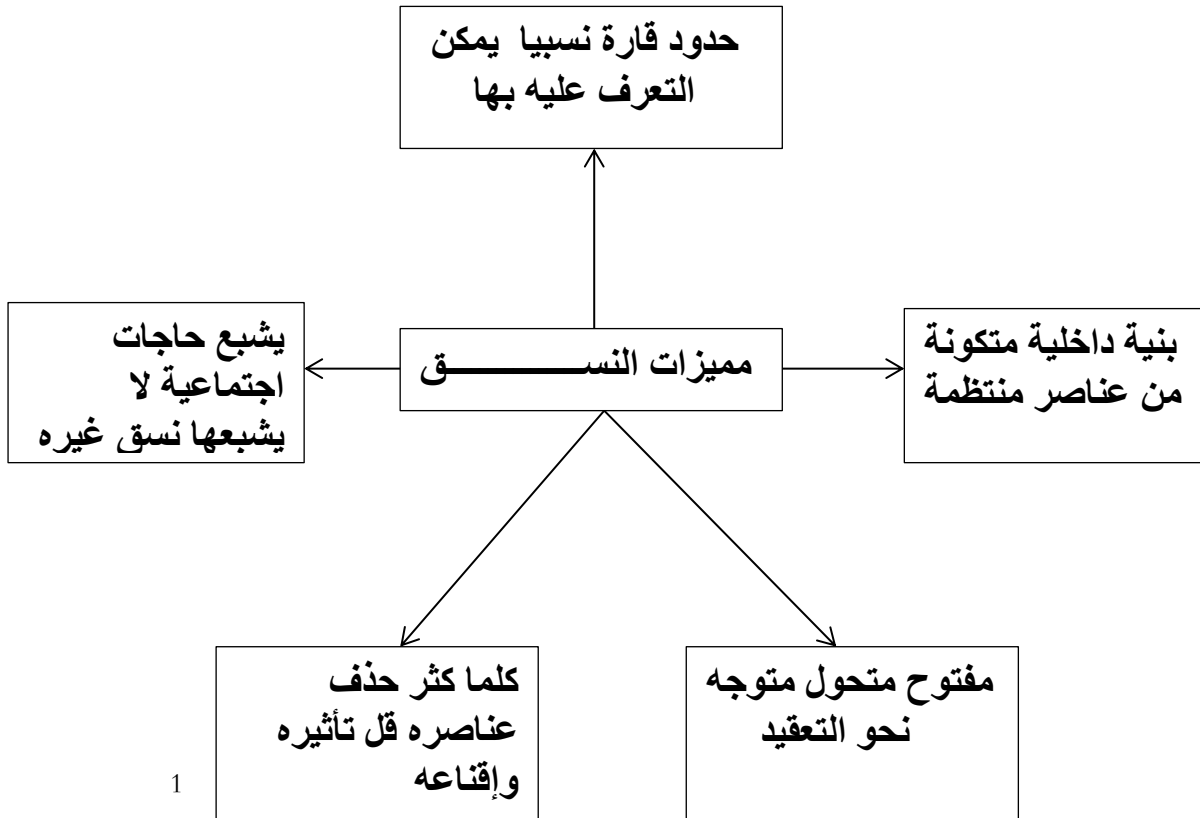
2- كاترين كيربرات : المضمّر , تر : ريتا خاطر , المنظمة العربية للترجمة , دب , دط , دس , ص: 494

3- عبد الله الغدّامي : النقد الثقافي , ص: 71

4- سامي اسماعيل : جماليات التلقي دراسة في نظرية التلقي عند هانز روبرت ياوس وآيزر , المجلس الأعلى للثقافة , القاهرة , ط 1 , 2002 ,

3/ مميزات النسق :

يتميز النسق بخصائص تميزه عن غيره من الاشياء , لأنه من أهم أساليب الثقافة لتمير محتواها حيث تسعى الثقافة إلى الاختباء وراءه , ونظرا لأهمية الأنساق في النقد الثقافي فقد أجمع الباحثون على مميزات تمكننا من التعرف عليها والتمييز بينها , ولأنها واحدة عندهم جميعا , أخذنا فقط ما تناوله محمد مفتاح في كتابه التشابه والاختلاف , والترسيمة التالية توضح هذه المميزات :



- إن حدود النسق يحددها العرف والعادات في المجتمع سواء كان نسقا سياسيا أو اجتماعيا أو أنثروبولوجيا إضافة إلى أصحاب الاختصاص الذين يساهمون أيضا في رسم هذه الحدود , وهنا يمكننا القول أن النسق بمثابة لغة مشتركة بين أصحاب الاختصاص .
- بنية داخلية تتوافق والطرح البنيوي , لأن النص عندهم نظام أو نسق يتكون من عناصر تربط بينها علاقات .
- خاصية الأثر المفتوح تتحقق بالتغير والتحول , وهذا التحول يمنح النسق خاصية التعقيد , وهذا الأخير بدوره يولد إيجاءات وتأويلات تساعد على استمرارية هذا النسق وتداولها عبر الزمن .

1- ينظر : محمد مفتاح: التشابه والاختلاف , ص: 48

-النسق بنية متكونة من عناصر تعمل متظافرة , إذا حذف منها عنصر قل تأثيرها في المجتمع ,وتبعه عدم تداول وانتشار النسق بل يصل الحد إلى إلغاء دور الثقافة التي يحملها هذا النسق في التحكم في المجتمع , ويصبح من الصعب الافتناع بها , لهذا لا يجب حذف أي عنصر من هذه العناصر .

-إن النسق يشبع حاجات اجتماعية لا يشبعها غيره , لأن لكل نسق خصوصيته التي تحدد مجال استخدامه , أي أن لكل مجال أنساقه الناقلة لأفكاره وعقائده و مرجعياته .

4/ آليات الكشف عن النسق :

في ظل زمن ما بعد الحداثة تلاشت المركزيات والخصوصية , سواء في العلوم أو مناهج النقد الأدبي , ولعل هذا أهم سبب ساعد النقد الثقافي على الدخول إلى الساحة الأدبية والنقدية , وقد اخذ في الولوج إلى بؤرة النقد الأدبي , واستعار مصطلحاته وإجراءاته , وقد فرض سلطته على مناهج النقد الأدبي السياقية منها والنسقية إضافة إلى معالجته لقضايا ثقافية , وهو بهذا قد تجاوز الجمالية التي يوظفها للكشف عن حيل الثقافة . ونجد الحفناوي بعدي يورد طريقة التعامل مع النص الادبي من منظور النقد الثقافي بقوله أن هذا التعامل يتطلب " وضع النص داخل سياقه الثقافي من ناحية , وداخل سياق القارئ والناقد من ناحية اخرى , وهكذا يصبح النص علامة ثقافية تتحقق دلالتها فقط داخل السياق الثقافي الذي انتجه " ¹ , وهذا الطرح يؤكد على أن القارئ في مجال القراءة الثقافية أن يكون مثقفا ملما بالسياقات التي تحيط بالنص من ثقافة المؤلف وثقافة المجتمع .

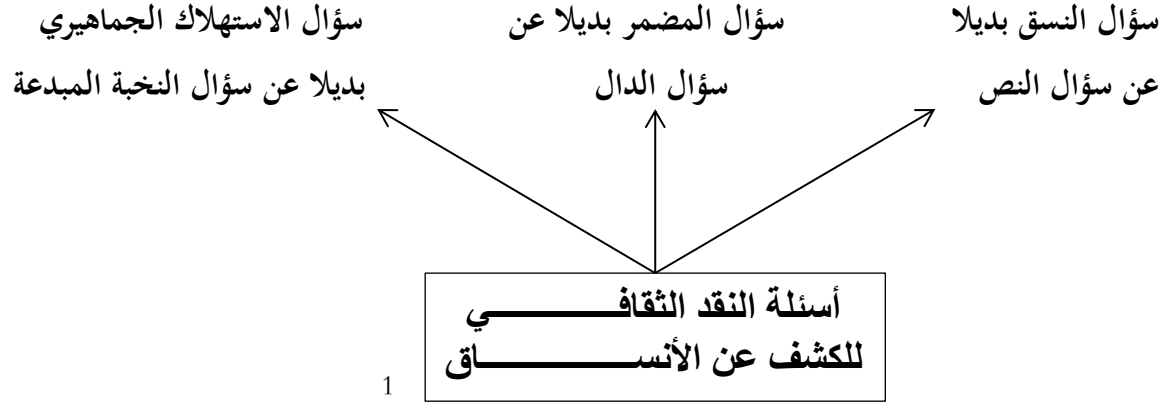
والنص في النقد الثقافي يمثل موقعا للصراع بين الأنساق ليتحدد المركز والهامش , وهذا الصراع بدوره يساهم في إنتاج دلالات جديدة ومعاني متنوعة , ولتحليل نص ما في ضوء النقد الثقافي يجب علينا الانطلاق من تفكيك تلك الأنساق التي تحمل ثقافة المجتمع بأكمله , مع العلم أن هذا التفكيك لا ينقل لنا صورة كاملة عن تلك الثقافة .

لقد أصبح النقد الثقافي بديلا معرفيا ومنهجيا عن النقد الأدبي , حيث حقق ما عجز عنه النقد الأدبي الذي انحصرت إجراءاته في معالجة الناحية الجمالية للنص التي كان من نتائجها وضع شروط لتحقيق أدبية النص ؛ أي أن الأدبية مؤسسة ثقافية متعالية تقبل ما التزم بهذه الشروط فقط , وترفض وتقصي النصوص التي لا تتحقق فيها تلك المعايير , فهي بهذا تضع حاجزا فاصلا بين ما هو نجوي مخصص لطبقة معينة , وما هو جماهيري مستهلك على عكس النقد الثقافي الذي أولى كل الخطابات بالدراسة , وبمكنا القول أن النقد الثقافي وسع من الدائرة الجمالية , أي درسها وتجاوزها لما هو ثقافي .

وللكشف عن الأنساق من منظور النقد الثقافي , يجب الإجابة عن الأسئلة التي قومها هذا التوجه النقدي الجديد , لتتناسب والمنظومة الاصطلاحية التي استعارها من النقد الأدبي , ونعني بهذا الكلام ان النقد الثقافي يستخدم المناهج النقدية النسقية والسياقية على حد سواء , لكنه يتجاوزها لأن ما يسعى للكشف عنه هو المضمرة الثقافي وليس الأدبية أو الظروف التاريخية والاجتماعية بمعزل عن الثقافة .

1-حفناوي بعلي : مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن , منشورات الاختلاف , الجزائر , ط1, 2007, ص:47

والمخطط التالي يلخص لنا الأسئلة التي يمكن من خلالها الكشف عن الأنساق المضمرة والمعلنة , مع التركيز على المضمرة لأنه جوهر النقد الثقافي أو المسائلة الثقافية :



- سؤال النسق بدلا من سؤال النص لان النقد الثقافي يهتم بما هو متخف ومضمرة في ظلال الجماليات التي تساعد تلك الأنساق على التواري والاختفاء ويمكن لهذه الأنساق أن تتحرك كنعقيض لمدلول النص , أو تكون نقيضة لمبدعه أو قارئه .

- سؤال المضمرة بدلا من الدال : نعلم أنه في النقد الأدبي هناك دالتان صريحة وضمنية , والضمنية تختلف عن المضمرة , لأنها تكون في وعي المؤلف وفي إحساس القارئ , بالإضافة إلى أنها من معطيات النص بوصفه تكويننا دلاليا , وهذه الدلالة تخضع لشروط الذوق , أما النسق المضمرة فإنه يكون بعيدا عن وعي المؤلف , وهو يتسرب بشكل غير ملحوظ من باطن النص , ناقضا منطق النص ذاته , ويرجع ذلك إلى أن الثقافة تمارس نوعا من الألاعيب عن طريق تغلغلها غير الملحوظ في النص .²

- سؤال الاستهلاك الجماهيري بدلا من سؤال النخبة المبدعة ؛ أي أنه لا بد من توفر شرط الجماهيرية في النص الذي يكون دليلا على التوافق التام بين ما هو موجود في أذهاننا , وبين ما هو موجود في ذلك النص , مما يدفعنا إلى الاستجابة السريعة معه والتفاعل مع معطياته .

- لقد تطرق النقد الثقافي في ظل آلية الكشف عن الأنساق إلى سؤال التأثير الذي يخلقه النص وتخلفه الأنساق وهو بهذا السؤال أزاح سمات الجمالية الخالصة لتحل محلها سمات ثقافية حضارية , وهي سمات تصبغ سلوكنا وتتحكم فيه .³

1- ينظر : عبد الله الغدامي , عبد النبي اصطيف : نقد ثقافي أم نقد أدبي ؟ , دار الفكر , دمشق , دط , 2004 , ص: 36

2- ينظر : المرجع نفسه , ص: 39, 40

3- ينظر : المرجع نفسه , ص: 42

5/ علاقة النسق بالنقد الثقافي :

تعد الثقافة المصطلح المفتاح في النقد الثقافي , من خلال ما تمرره من إيديولوجيات في ثنايا النسق , فهي بمثابة لوحة الشطرنج , حيث تمثل الأنساق بيادقها , وهي بهذه الخاصية تكون " خبرا يجمع ويحافظ عليه , وتتناقله المجتمعات الإنسانية "¹ , وهذا الخبر يختلف باختلاف المجتمعات والحضارات لأن لكل مجتمع معتقداته وثقافته التي تحكمهم .

إن النقد الثقافي توجه جديد في الساحة النقدية , عني بالجانب الثقافي , فهو يقرأ الثقافة من خلال أنساقها المضمره , وهو " نشاط وليس مجالاً معرفياً خاصاً بذاته ؛ بمعنى ان نقاد الثقافة يطبقون المفاهيم على الفنون الراقية والثقافة الشعبية والحياة اليومية , وعلى حشد من الموضوعات المرتبطة لذا فهو مهمة متداخلة , مترابطة , متجاورة , متعددة , كما أن نقاد الثقافة يأتون من مجالات مختلفة "² , بمعنى ان هذا النشاط كما ورد في التعريف السابق يدرس كل الخطابات دون استثناء وهو يعنى بنقد الأنساق المضمره التي تنطوي تحت الخطاب الثقافي , ولم يعد ينظر إلى النص في النقد الثقافي على انه نص , وإنما ينظر إليه بوصفه جملة من الأنساق التي تحمل أنظمة ثقافية مختلفة , وقد وردت فكرة البحث عن علاقة النسق بالنقد الثقافي في العمل المشترك بين عبد الله الغدامي وعبد النبي اصطياف , اللذان يعتبران " الثقافة منظومة تملك أنساقاً خاصة ومهيمنة , وتتوسل لهذه الهيمنة عبر التخفي وراء أقنعة جمالية "³ .

نستنتج من هذا الكلام أن النسق وسيلة النقد الثقافي للوصول على تلك الثقافة المتوارية خلف تلك الأنساق المضمره , لأن النص يحمل جانبان , الأول ظاهر والثاني متخفي والذي يمثل الثقافة , التي كان لابد من توفر بديل منهجي يسعى للبحث عنها .

كما نجد أن عبد الله الغدامي يركز على العناية بالأنساق الثقافية المضمره بدلا من المصطلحات الجمالية , فهو يرى بأن النقد الثقافي وجد لينقل النقد من دائرة نقد النصوص إلى دائرة نقد الأنساق , ويؤكد ايضا على أن النص الأدبي يحمل التاريخ والاجتماع والسياسة وكل الأبعاد الثقافية , لأنها ساهمت في إنتاجه حتى تتمكن من التخفي بعد ذلك في الأنساق المبتوثة في الخطاب بين المعلنة منها والمضمره , ليأتي النقد الثقافي فيما بعد ويكشف عنها ويستخرجها .

باختصار يمكن القول ان علاقة النقد الثقافي بالنسق تتمثل في ان الثاني وسيلة الأول للوصول إلى الثقافة .

1- سعيد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة , دار الكتاب اللبناني , بيروت , ط 1 , 1985 , ص: 57

2- آرثر ايزنبرجر: النقد الثقافي , ص ص: 30, 31

3- عبد الله الغدامي , عبد النبي اصطياف: نقد ثقافي أم نقد أدبي ؟ , ص: 30

الفصل الثالث : قراءة ثقافية للمدونة :

أولاً: الخطب الرسمية : قراءة ثقافية

1-الخطبة الاولى : خطبة الجمعة

أ/قصة خطبة الجمعة

ب/الأنساق المعلنة في خطبة الجمعة :

-الحمد والشكر

-صفات خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم

-العبودية لله

-نعم الله

-وحدانية الله

-وظائف الرسول صلى الله عليه وسلم

-شرع الله ورسوله

-العدالة الإلهية

-صفات وأسماء الله عز وجل

-القرآن دستور المسلمين

ج/الأنساق المضمرة في خطبة الجمعة :

-نسق الأنا / أحمد بن منصور

- نسق الآخر / المتلقي

- نسق التذكير

-نسق الآخر / المعارضة

2-الخطبة الثانية : خطبة التحكيم

أ/ قصة خطبة التحكيم

ب/ الأنساق المعلنة في خطبة التحكيم :

-الحمد والدعاء

-شرع الله ورسوله

-وحدانية الله

-الصلاة

-العدالة الإلهية

-الدعاء

ج/ الأنساق المضمرة في خطبة التحكيم :

-نسق الأنا / أحمد بن منصور

-نسق الآخر/ الموالي / الرعية

-نسق الآخر / المعارض

-نسق الأنا / الخوارج

-نسق الآخر / أهل البدع / الكافرون

-نسق الآخر / الإمام علي بن أبي طالب

أولاً: الخطب الرسمية : قراءة ثقافية :

تشكل الخطب الرسمية خاصة منها خطب الجمعة فضاءً رحباً وحقلاً خصباً لإضمار الأنساق الثقافية , وتمثل هذه الأنساق الوجه المتخفي للثقافة عامة والدين خاصة , فالولاية في الدولة الرسمية رجال دين وعلم , وأئمة في المساجد يخطبون في الناس يوم الجمعة , وفي غيرها من المناسبات , وكانوا غالباً ما يرتجلون الخطب مما يدل على إحاطتهم الثقافية بكل ما وجد في الكتب وكل ما جد في العلوم .

1-الخطبة الاولى : خطبة الجمعة :

أ/ قصة خطبة الجمعة :

التذكير بقصة الخطبة يساعدنا في النظر عن قرب لتلك الفترة من حيث اللغة وبناء الخطبة , ولم نجد غلا مصدراً واحداً يتناول قصة هذه الخطبة وهو الأزهار الرياضية , فقد "اشتهر الأئمة بأن لهم دواوين خطب للجمعة والأعياد , حيث كانوا يخطبون بأنفسهم مع العلم أنهم لا يعيدون خطبة خطبوها قط , وكانت مساجدهم عامرة بالناس الذين لا ينكرون عن خطيبهم شيئاً إلا أن الفقهاء تباحثوا المسائل فيما بينهم وتناظروا واشتهت كل فرقة أن تعلم ما خالفتها فيه صاحبها , ومن أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم قريوه وناظروه أطف منظره , وأشهر خطباء الدولة الرسمية كان أولهم ابن أبي إدريس , والثاني أحمد التيه , والثالث أبو العباس بن فتحون , والرابع عثمان بن الصفار , والخامس أحمد بن منصور الذي سنولي خطبته بالدراسة , وهي في الأصل لعثمان بن أحمد بن بجاح , وكان مقداً عند قومه ولا يكادون يخالفونه فيما استحسّن , ولهذا خطب أحمد بن منصور بهذه الخطبة لأنه استحسنها له"¹ , مع العلم أنه قام بكتابتها ولم يلقها على الجمهور , لهذا ألقاها أحمد بن منصور .

ب/ الأنساق المعلنة في خطبة الجمعة :

-النسق العام والواضح للخطب إجمالاً هو نسق ديني بحت.

-**الحمد والشكر** : إن الحمد في الخطب الرسمية يمثل جزءاً لا يتجزأ من الخطبة , ولا يمكن الاستغناء عنه , وهذا النسق المعلن يتجلى من خلال الجملة الثقافية الآتية "الحمد لله الذي ابتداء الخلق بنعمائه , أحمدته حمداً يبلغ رضاه"² .

-**العبودية لله** : ولأنه مجتمع مسلم ومؤمن كان لا بد لهم من الإقرار بعبودية الله عز وجل , خاصة وأنهم في بيت الله وفي خطبة الجمعة , ويتضح هذا النسق من خلال الجملة الثقافية التالية : "نؤمن به إيماناً من أخلص عبادته واستشعر طاعته"³ .

1-الباروني : الأزهار الرياضية , ص: 135

2- المصدر نفسه , ص: 135

3-المصدر نفسه , ص:135

- وحدانية الله:** في الخطب دائما هناك تصديق جازم بوحدانية الله عز وجل , وغالبا ما يظهر هذا النسق من خلال الشهادتين أو سورة الإخلاص سواء في المتن أو في آخر الخطبة , والشاهد من النص لهذا النسق هو :
 " أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة معترف بالربوبية والتوحيد " ¹.
- شرح الله ورسوله :** يتضح هذا النسق من خلال الجملة الثقافية التالية , ومن خلال الآية القرآنية التي وردت في متن الخطبة : " أمرهم عند التنازع في تأويله بالرجوع إلى قول رسوله صلى الله عليه وسلم " ².
 قال الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم , فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا " ³.
- صفات واسماء الله عز وجل :** لا يمكن للخطيب أن يخطب خطبته دون ذكر لصفات المولى عز و جل لأنها تمثل تعظيما للخالق , والحمل الثقافية التي تعبر عن هذا النسق هي كما يلي : " لا يشتمل عليه زمان , ولا يحيط به مكان ... لم يستعن عليها بأحد استكبارا عن الشركة والمعونة " ⁴.
- **صفات خاتم الأنبياء :** وجملة الثقافية هي : " اصطفاه لنفسه وليا , وارتضاه لخلقه نبيا , وجده على حفظ ما ضمنه قويا وأداء ما استودعه مليا وبالدعاء إلى ربه حفيا , متوقفا عند ورود المشكلات , ومشمرا عند انجلاء الشبهات , رجز عن القول في الدين بالشهوات , لا يرى لمن عدله ولا يلوي من خذله ولا يطيع غير من أرسله ... يصدع بالأمر " ⁵.

1-المصدر السابق , ص:135

2-المصدر نفسه, ص: 135

3-القرآن الكريم , رواية ورش عن نافع , سورة النساء , الآية : 59

4- الباروني : الأزهار الرياضية , ص:135

5- المصدر نفسه , ص: 135

-نعم الله : التي أنعمها الله على عباده وهي تفوق العد والوصف , وجمل هذا النسق هي :

"[تغمدهم جميعا بحسن بلائه

فوفق كل امرئ منهم في صباه إلى ما يحتاج إليه من غذائه

سخر له ما يكلؤه إلى وقت استغناؤه

أنذرهم بأنبيائه

خلق الاماكن والأزمان]"¹.

-وظائف الرسول صلى الله عليه وسلم : وجمله الثقافية هي :

"[يرعاهم رعي السوام

يدعوهم إلى دار السلام

فلم يزل عليه السلام يعظهم بالآيات ويقرعههم بالمعجزات

بلغ المحكمات

أوضح المشكلات]"².

-العدالة الإلهية : ويتجلى من خلال الجمل الثقافية التالية :

"[لم يكلهم تعالى إلى القول في دينه بأرائهم , ولا أذن لهم في مسامحة أهوائهم , فتكون الأحكام مبتدعة والآراء

مخترة بل أحصى كل شيء عددا وضرب لكل شيء أمدا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة]"³

-القرآن دستور المسلمين : وجمله الثقافية هي :

"[جعل القرآن إماما للمتقين وهدى للمؤمنين وملجأ للمتنازعين وحكما بين المتخالفين , ودعا أوليائه المؤمنين

إلى اتباع تنزيله]"⁴.

1-المصدر السابق: ص:135

2- المصدر نفسه: ص:135

3-المصدر نفسه: ص:135

4-المصدر نفسه: ص:135

ج/ الأنساق المضمرة في خطبة الجمعة :

تعد الخطب في ضوء القراءة الثقافية واقعة جمالية فنية تمثل " بناء ثقافيا متعدد الأنساق"¹ , يمكن الكشف عنها كالتالي :

-القسم الأول من خطبة الجمعة :

يقول أحمد بن منصور : "[الحمد لله الذي ابتداء الخلق بنعمائه وتغمدهم جميعا بحسن بلائه , فوفق كل امرئ منهم في صباهه إلى ما يحتاج إليه من غذائه ثم احتج على من بلغ منهم بالآئه وأنذرهم بأنبيائه ...]"² .
يشكل هذا القسم علامة إشارية فاعلة تنكشف بواسطتها أقطاب التواصل أو أنساق التواصل , فنجد:

نسق الأنا / أحمد بن منصور

نسق الآخر / المتلقي

وظف نسق الأنا في مفتح خطبته لفضة الحمد لله لكي يثبت بها انتماءه إلى المنظومة الدينية الخالصة , وهذه المنظومة تفرض عليه هذا النموذج كي لا يخرج عن منوال ما خطب به الرسول صلى الله عليه وسلم , فهي بمثابة حصن يحمي به الخطيب أمام المتلقي الذي يكون إما من عامة الناس وإما من أصحاب السلطة , لذلك نجد نسق الأنا في هذا المفتح يمارس نوعا من الهروب المضمرة نحو النموذج السائد , وهذا يعني أنه لا يمكن لأي خطيب مهما اتسعت ثقافته أن يجيد عن هذا النموذج حتى ولو اختلفت المواضيع التي تعالجها الخطب فإن الشكل يبقى ثابت .

والنسق المسيطر في الخطب هو نسق ديني إلا أنه يظهر ويتجلى في أشكال مختلفة في الجنس الأدبي الواحد , حيث نجد أن نسق الأنا / الخطيب يذكر نعم الله سبحانه وتعالى , والتذكير بنعم الله وشكره عليها عبادة , وهو يريد بهذا التذكير ترسيخ فكرة شكر الله عز وجل على نعمه , وهنا يرتقي التذكير من كونه تحفيزا على شكر الله على نعمه إلى نسق التذكير ليتمكن من ترسيخها في القلوب وتستقر في العقول وقد استعمل نسق الأنا حيلة جمالية مرر من خلالها هذا النسق , وهذه الحيلة هي السجع الذي صار العمود الفقري لأدب تلك الفترة , ونعني بالسجع "توافق الفاصلتين في الحرف الأخير أفضله ما تساوت فقره"³ , وأمثله من الخطبة (نعمائه, بلائه, صباهه, غذائه, آئه), ولأن السجع موطنه النثر فقد كان له اثر بالغ في تمرير هذا النسق , حيث خلق إيقاعا موسيقيا تطرب له الأذن , وبذلك تمكن من جذب انتباه السامعين والتأثير فيهم .

1-يوسف عليما : جماليات التحليل الثقافي , ص: 33

2-الباروني : الأزهار الرياضية , ص: 135

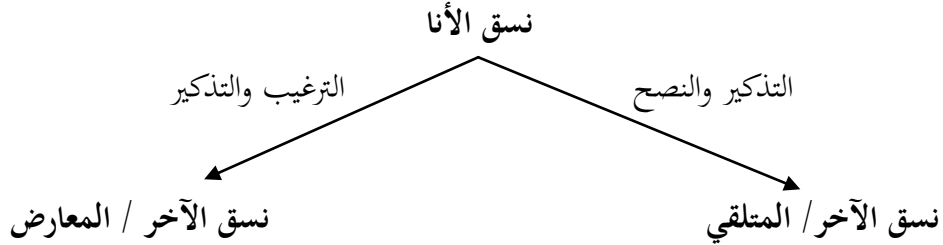
3-علي الجارم , مصطفى أمين : البلاغة الواضحة (البيان , المعاني , البديع) , دار المعارف, دب , دط , دس , ص: 272

-القسم الثاني من خطبة الجمعة :

يقول أحمد بن منصور : "[...الذي لم يزل بصفاته لا يشتمل عليه زمان ولا يحيط به مكان , خلق الأماكن والأزمان ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض إيتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين فقدرها أحسن تقدير واخترعها من غير نظير , لم يرفعها بعمد تدرك بالمعينة ولم يستعن عليها بأحد استكبارا عن الشركة والمعاونة وزينها للناظرين وجعل فيها رجوما للشياطين ...]"¹.

تتجلى الأنساق المضمرة في هذا القسم من الخطبة من خلال النسق المعلن , ألا وهو صفات الله عز وجل وهنا يأتي نسق الأنا مقابل نسق الآخر/ المعارض/ الكافر بنعم الله , وتأتي الإشارة إلى صفات الله ونعمه على الخلق بمثابة دعوى من نسق الأنا إلى النسق المعارض كي يتأمل ويقف على الحقائق بدلا من الضلال والكفر , فالخطيب / نسق الأنا قام بتخير الصفات التي تلامس القلوب وتهديها عن الكفر , وهنا التجأ نسق الأنا إلى حيلة جمالية كي يمرر هذه الحقائق إلى النسق المعارض , تتمثل في أسلوب النفي في الجملة الثقافية الآتية :
لا يشتمل عليه زمان
ولا يحيط به مكان

وأسلوب النفي "يراد به نقض فكرة وإنكارها وهو ضد الإثبات"², وقد استخدمه نسق الأنا ليمرر للنسق المعارض هذه الحقائق , كما أن هذا القسم من الخطبة لم يسلم من السجع الذي غلب عليها وأمثله هي (تقدير , نظير) , (اخترعها , يرفعها) , (الناظرين , الشياطين) , وتأتي علاقة الأنساق المضمرة بعضها ببعض كالتالي:



حركة الأنساق من خلال هذه الترسيم تأتي خطية بمعنى فعل دون رد فعل .

1-الباروني : الأزهار الرياضية ,ص:135

2-عبد الرحمن الميداني : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها , دار القلم , دمشق , ج 1, ط1, 1996, ص: 202

-القسم الثالث من خطبة الجمعة :

" [فتبارك الله أحسن الخالقين تعالى أن تطلق في وصفه آراء المتكلمين وأن تحكم في دينه أهواء المقلدين , بل جعل القرآن إماما للمتقين وهدى للمؤمنين وملجأ للمتنازعين وحكما بين المتخالفين , ودعا أوليائه المؤمنين إلى اتباع تنزيله وأمرهم عند التنازع في تأويله بالرجوع إلى قول رسوله صلى الله عليه وسلم , بذلك نطق محكم كتابه إذ يقول جل ثناؤه : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) ونعبد نبيئه صلى الله عليه وسلم عند رجوع الأمة في تأويل ما أشكل عليها إليه بأن يبين لهم معنى ما أنزل عليه فقال (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه)...]"¹.

إن نسق الانا / الخطيب قدم لنا إطارا واضحا في وصف الكافرين في هذا القسم من الخطبة , وهذا الوصف جاء نتيجة أحداث تزامنت مع نزول القرآن , فالكافر في هذا القسم "معادل نسقي لثقافة المجتمع الجاهلي"² الراض لأي بديل عن تلك الأصنام والأزلام , فالقرآن عند النسق المعارض / الكافر يعتبر بديلا خارجا عن إطار عرف آبائه وعاداتهم , وقد استعمل نسق الأنا / الخطيب صفات متعددة في وصف النسق المعارض / الكافر , فيصفه تارة بالمقلد وتارة أخرى بالمتكلف , في حين يصف المؤمنين باعتبارهم نسقا ضديا للنسق المعارض / الكافر بالمتقين , كما نلاحظ أيضا في هذا القسم أن نسق الأنا / الخطيب لم يستغن عن السجع , باعتباره منظومة ثقافية متعالية تطغى على النثر بشكل عام , وأمثله من الخطبة هي (الخالقين , المتكلمين , المقلدين , المتقين , المؤمنين , المتنازعين , المتخالفين) , ويشكل الزمان والمكان في الخطب الرسمية صيغا نسقية تعكس موقف نسق الأنا / الخطيب الذي "يساهم بدوره في إثارة هذه الأنساق"³ , فالمكان الذي يخطب فيه نسق الأنا / الخطيب هو المسجد والزمان هو العهد الرسمي , وهذا ما يفسر مجيء الخطبة بهذا الشكل وعلى هذا النموذج .

1-الباروني : الأزهار الرياضية ,ص:135

2-يوسف عليما : جماليات التحليل الثقافي , ص:57

3-المرجع نفسه, ص: 47

2-الخطبة الثانية: خطبة التحكيم :

أ/ قصة خطبة التحكيم :

إن خطبة التحكيم تضي بنا مباشرة للماضي , فعنوان الخطبة يحمل في طياته موقعة صفيين وما تبعها من صحيفة التحكيم التي بدأت بالصلح وانتهت بالخيانة , مما انجر عنه ظهور فرقة الخوارج التي " رفعت شعار لا حكم إلا لله وسموا بالخوارج لأنهم خرجوا على علي وأنكروا عنه أشياء "¹ , ويقول الباروني في شأن خطبة التحكيم أن الإمام كان إذا فرغ من الخطبة الأولى قام إلى الخطبة الثانية فحكم , وقد بقيت هذه الخطبة ثابتة عند خطباء بني رستم أي أنه في كل جمعة تكون الخطبة الأولى مرتجلة ومختلفة أما الخطبة الثانية فهي خطبة التحكيم , وهذا التكرار له دلالات سنذكرها لاحقاً , وسنبحث أيضاً عما تحمله هذه الخطبة من أنساق مضمرة وهل هي إخلاص لعلي؟

أم هي إحياء لذكرى ميلاد الخوارج؟

ب/ الأنساق المعلنة في خطبة التحكيم:

-الحمد والدعاء: تمثله الجمل الثقافية الآتية :

"[إن الحمد لله الذي نحمده ونستغفره ونؤمن به ونستهديه ونستنصره , ونبرأ من الحول والقوة إليه , ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا]"².

-وحدانية الله: "[نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له]"³ , هذه الجملة الثقافية تؤكد وحدانية الله بالإضافة إلى سورة الإخلاص التي قرأها في آخر الخطبة : (بسم الله الرحمن الرحيم "قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد")⁴.

-العدالة الإلهية: "[رضينا بحلاله حلالاً وبجرامه حراماً لا نبتغي به بدلاً ولا عنه حولاً ولا نشترى به ثمناً]"⁵.

-شرع الله ورسوله: "[لا حكم إلا لله اتباعاً لكلام الله وسنة نبيته صلى الله عليه وسلم , لا حكم إلا لله خلعا ونبذاً وفاقاً لجميع أعداء الله لا حكم إلا لله ولو كره الجبارون الحاكمون بغير ما أنزل الله]"⁶.

1-ابن كثير :البداية والنهاية , دار بن الأثير للطباعة والنشر والتوزيع , دمشق , ج 7 , ط2, 2010, ص:447

2-الباروني : الأزهار الرياضية , ص: 136

3-المصدر نفسه , ص : 136

4-القرآن الكريم : رواية ورش عن نافع , سورة الإخلاص

5-الباروني : الأزهار الرياضية , ص 136

6-المصدر نفسه , ص: 136

-الصلاة:

1(الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم و ابراهيم الخليل : "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد , كما صليت ورحمت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد" ¹ .

2(الصلاة على العصبتين : "اللهم صل على العصبتين المباركتين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم" ² .

-الدعاء :

1(الدعاء بالخير للشرأة في سبيل الله : "اللهم ارحم الشرأة في سبيلك أهل الفضل في الإسلام" ³ .

2(الدعاء للخليفتين بعد النبي : "اللهم ارض وصلي على الخليفتين المباركتين بعد نبيك" ⁴ .

3(الدعاء بالخير للأمير يوسف بن محمد : "اللهم أصلح الأمير يوسف بن محمد , أصلحه وأصلح على يديه ووقفه للخير وأعنه عليه وافتح له من عندك أعوانا وأنصارا على طاعتك , اللهم أعز به الإسلام وأهله وانصره نصرا عزيزا وافتحه فتحا يسيرا وهب له من لدنك سلطانا نصيرا كفا بك وليا وكفى بك نصيرا" ⁵ .

4(الدعاء بالخير لنفسه وللأمة : "الله اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان , ربنا ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم" ⁶ .

في الاخير نلاحظ أن الأنساق المعلنة التي تم إحصاؤها في كلتا الخطبتين لم تخرج عن النطاق الذي رسمه النسق العام / الديني.

1-المصدر السابق , ص:136

2-المصدر نفسه , ص:136

3-المصدر نفسه , ص:136

4-المصدر نفسه , ص:136

5-المصدر نفسه , ص:136

6-المصدر نفسه , ص:136

ج/ الأنساق المضمرة في خطبة التحكيم :

تكرار خطبة التحكيم بعد الخطبة الأولى من كل جمعة هو في حد ذاته نسق مضمّر لا يمكن تجاهله , فخطبة التحكيم بداية من عنوانها وصولاً إلى مضمونها ومحتواها هي بمثابة أنساق مضمرة يجب البحث عنها واستخراجها من خلال القراءة الثقافية.

يمثل عنوان الخطبة نسقاً مضمراً يتقاطع مع حادثة صحيفة التحكيم , والتي جاءت عقب الصراع على الخلافة بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه , " وهذه الصحيفة جاءت لإخماد نار الحرب , وقد وافق عليها أمير المؤمنين حفظاً لدماء الناس , وقد ثمن هذا الصلح بصحيفة التحكيم التي حضرها كل من عمرو بن العاص نائبا عن معاوية وأبو موسى الأشعري نائبا عن الإمام علي رضي الله عنه , وقد تمت مخالفة هذه الصحيفة من طرف معاوية , وتزامن مع هذه الخيانة خروج فئات من جيش علي رضي الله عنه رافضين لما جاء في الصحيفة , وبعدها قام علي بمناظرتهم فرجع بعضهم وبقي بعضهم على ضلاله " ¹ , ولعل عنوان الخطبة يحمل في طياته دلالات متنوعة منها الولاء لعلي , ومنها إحياء ذكرى خروج الخوارج عن علي رضي الله عنه , وتتمثل الأنساق المضمرة فيما يلي :

نسق الأنا / الخطيب / أحمد بن منصور

نسق الآخر / الموالي / الرعية

نسق الآخر / المعارض

القسم الأول من الخطبة :

"[الحمد لله الذي نستعينه ونستغفره ونؤمن به ونستهديه ونستنصره ونبرأ من الحول والقوة إليه , ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له , ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى والحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون]" ² ابتدأ نسق الأنا / الخطيب خطبته بالحمد والاستعانة بالله والاستغفار ليدل دائما على انتمائه إلى المنظومة الدينية الإسلامية , وهذا ما رأيناه في خطبة الجمعة بمعنى أن نسق الأنا / الخطيب في هذه الخطبة أيضا يمارس ذلك الهروب المضمّر نحو نموذج السلف الصالح , وتتحرك الأنساق وفق علاقة الفعل ورد الفعل كالاتي :



1-ابن كثير : البداية والنهاية , ص: 474

2-الباروني : الأزهار الرياضية , ص: 136

القسم الثاني من الخطبة :

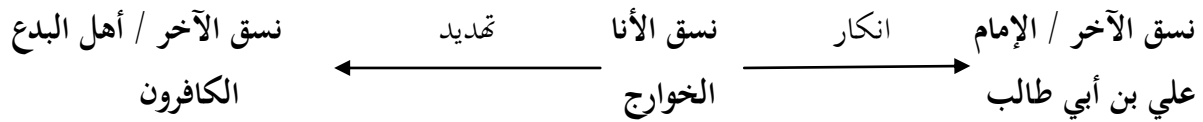
"...الله ربنا ومحمد نبينا والإسلام ديننا والكعبة قبلتنا والقرآن إمامنا رضيينا بحلاله حلالا وبجرامه حراما , لا نبتغي به بدلا ولا عنه حولا ولا نشترى به ثمنا لا حكم إلا لله اتبعا لكلام الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وخلافا لأهل البدع لا حكم إلا لله خلعا ونبذا وفراقا لجميع أعداء الله , لا حكم إلا لله ولو كره الجبارون والحاكمون بغير ما أنزل الله , وأشهد أن من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون ...]"¹.

بالقراءة السطحية لهذا القسم نجد أنه ما من أنساق مضمرة به , خاصة في بدايته , فنسق الأنا/ الخطيب يقر بربوبية ووحدانية الله عز وجل ونبوة الرسول صلى الله عليه وسلم , ويقر بالإسلام ديننا وبالكعبة قبله للمسلمين وبالقرآن دستورنا لهم , لكن بالقراءة المعمقة نجد أن هناك جملة ثقافية تكررت في هذا الجزء من الخطبة وهي لا حكم إلا لله , والتكرار ظاهرة أسلوبية تقتضي إعادة إيراد اللفظ في جملة , أو تكرار الجملة في حد ذاتها , ودلالة تكرار هذه الجملة الثقافية هو "التوكيد الذي يتم بتكرار اللفظ"².

وتكرار شعار الخوارج في خطبة التحكيم يحمل معاني متخفية ودلالات مستترة , ولعل تكرار هذه الجملة دون غيرها من الجمل يجعل إلى تلك اللحظة ؛ لحظة خروج الخوارج على علي رضي الله عنه , وإعادتها أكثر من مرة إنما هو تأكيد بصحة قرار الخوارج وترسيخا لفكره .

لقد حملت هذه الجملة نسق الكافر بنعم الله / أهل البدع , ونسق الإمام علي بن أبي طالب الذي يعتبر نسق المسيطر فيها , لأنه يرتبط بتلك الحادثة , وقبوله بالتحكيم هو السبب في ميلاد الخوارج , ومن هنا نستنتج أن هذا التكرار لم يكن اعتباطيا بل كانت له أبعاد دينية ومذهبية وأن خطبة التحكيم بأكملها ما هي إلا إحياء لذكرى ميلاد الخوارج وإنكارهم لصحيفة التحكيم , فالخوارج هنا يمثلون نسقا دينيا مضمرا يتخفى ويتوارى تحت قناع الشيعة .

من خلال هذا النسق نجد أن نسق الأنا / الخطيب يغيب ليحل محله نسق الأنا / الخوارج , ويمكن رصد علاقته بالأنساق الأخرى من خلال هذه الترسيمية :



1-المصدر السابق, ص136

2-مصطفى الصاوي الجويني: البلاغة العربية تأصيل وتجديد , منشأة المعارف , الإسكندرية , دط , 1985 , ص57

القسم الثالث من خطبة التحكيم :

" اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد , وبارك على محمد وعلى آل محمد , كما صليت ورحمت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد , اللهم صل على العصبتين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان , وارحم الشراة في سبيلك أهل الفضل في الإسلام , اللهم ارض وصل على الخليفتين المباركتين بعد نبيك ... " ¹.

إن الصلاة على خاتم الأنبياء لها فضل كبير لأنه شفيع الأمة يوم الحساب , لذا فالصلاة عليه كانت حاضرة , لأن نسق الأنا / الخطيب يسير دائما وفق النموذج السائد, وتأتي الجملة الثقافية [اللهم ارض وصل على الخليفتين المباركتين بعد نبيك] ليخص بها كلا من أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما , لكن هناك تساؤل مهم يطرح نفسه لا بد من ذكره وهو : لماذا لم يذكر نسق الأنا عثمان بن عفان رضي الله عنه مع الخليفتين ؟ والمرجح في ذلك يمكن ان يتمثل فيما قام به عثمان رضي الله عنه بعد توليه الخلافة من تغيير في جهاز الحكم , ومخالفته بذلك وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أوصاه بعدم تغيير أي منصب في نظام الحكم لمدة سنة كاملة حتى تهدأ الأوضاع وتستقر ولا تشتعل نار الفتنة بين المسلمين , وما زاد الطين بلة هو أن معظم من قام بتعيينهم كانوا من الأمويين بحكم أنه هو نفسه أموي , ومن المحتمل أن يكون السبب غير ما ذكرناه . أما عدم ذكر نسق الأنا / الخطيب للإمام علي رضي الله عنه فهو واضح الأسباب .

القسم الرابع من خطبة التحكيم :

"...اللهم وأصلح الأمير يوسف بن محمد وأصلحه وأصلح على يديه ووفقه للخير واعنه عليه وافتح له من عندك أعوانا وأنصارا على طاعتك , اللهم أعز به الإسلام وأهله وأذل به الكفر وأهله وانصره نصرا عزيزا وافتح له فتحا يسيرا وهب له من لدنك سلطانا نصيرا كفا بك وليا وكفا بك نصيرا , اللهم اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك غفور رحيم " ².

اختتم الخطيب خطبته بالدعاء للأمير يوسف بن محمد وأتمته والأمم السابقة في الإيمان , وكنتيحة فإن تكرار الرستميين لنفس الخطبة كل جمعة توحى باستحضار لحظة خروج الخوارج رضي الله عنه وبذلك تستحضر الأفكار والعواطف , على أن المتشددين من الرستميين مازالوا على تلك اللحظة .

1- الباروني : الأزهار الرياضية , ص : 136

2- المصدر نفسه , ص : 136

ثانيا : الرسائل الرستمية :قراءة ثقافية:

- 1-الرسالة الاولى : رسالة الإمام أفلح إلى المسلمين في حق نفاث
أ/ قصة رسالة الإمام أفلح إلى المسلمين في حق نفاث
ب/ الأنساق المعلنة في رسالة الإمام أفلح إلي المسلمين في حق نفاث :
 - الخضوع لله بحمده وشكره
 - الطاعة والتمرد
 - العتاب والعقاب
 - الرجوع والتوبة
 - نفاث من المسلمين
 - الخليفة صاحب السلطة
- ج/الأنساق المضمرة في رسالة الإمام أفلح للمسلمين في حق نفاث
 - نسق الأنا / النسق السلطوي / الإمام أفلح
 - نسق الآخر/ الرعية / الموالي
 - نسق الآخر / نفاث / المعارضة
- 2-الرسالة الثانية :رسالة الإمام أفلح إلى صاحب الاندلس
أ/قصة رسالة الإمام أفلح إلى صاحب الأندلس
ب/ الأنساق المعلنة في رسالة الإمام أفلح لصاحب الأندلس
 - الدعاء
 - نعم الله على بني آدم
 - النصح والوعظ
- ج/ الأنساق المضمرة في رسالة الإمام أفلح إلى صاحب الأندلس
 - نسق الأنا / النسق السلطوي / الإمام أفلح
 - نسق الآخر / النسق السلطوي / البشير بن محمد

ثانيا : الرسائل الرسمية :قراءة ثقافية:

بالعلوم والآداب تزهده الأمم ويرتفع شأنها بين باقي الحضارات التي تتأخرها , وإذا أرادت أي دولة حديثة النشأة الاستقرار الداخلي والخارجي والاستمرار لأطول وقت ممكن , كان لابد لها أن تولي العلوم والآداب بالاهتمام , وهذا ما قام به ولاة الدولة الرسمية , حيث شيّدوا مكتبة المعصومة التي تم حرقها لاحقا من طرف الشيعة , ولم يتوقف الأمر عند المكتبة , بل شيّدوا المدارس ودور العلم وأصبحت تيهرت تنافس بغداد التي كانت أكبر عاصمة ثقافية وكانت الرسائل من نتائج هذا الازدهار الأدبي والعلمي , وأشهرها رسائل الإمام أفلح التي سنبحث في أنساقها لمعرفة ثقافة ذلك العصر .

تعد الرسائل الرسمية فضاء رحبا للدراسة الثقافية , لأنها كانت تستعمل لبناء علاقات ودية مع باقي الدول أو لإطفاء الفتنة أو التمرد , مما يجعلها مكثفة بالأنساق التي غالبا ما تكتسي بالطابع السياسي , وهو الطابع الذي لم تخرج عنه رسائل العهد الرستمي , والتي كان أغلبها للأئمة .

1-الرسالة الاولى : رسالة الإمام أفلح إلى المسلمين في حق نفاث

أ/قصة رسالة أفلح إلى المسلمين في حق نفاث :

لكل خليفة أعداء ومعارضون ومرتدون , وهذا الأمر طبيعي في ظل الصراع حول السلطة والخلافة , وهذا ما حصل للإمام أفلح "مع معارضيه وعلى رأسهم "فرح النفوسي" المعروف "بنفاث الخارج عن الطاعة", وقد جاءت هذه الرسالة بعد ورود أخبار تمرد نفاث لدى الرعية , والتي قامت بدورها برفع شكاوى عديدة وكثيرة إلى الإمام أفلح خاصة بعد تلك الفتاوى التي راح يطلقها , ولكن الغريب في الأمر أنه أثناء تصفحنا لكتابي "الأزهار الرياضية" و "طبقات المشايخ" وجدنا أن نفاث قد تعلم على يد الإمام أفلح , الذي إلى جانب توليه زمام الأمور في الدولة اهتم بالتدريس , وكان من حظ "نفاث" أنه تتلمذ على يد هذا الإمام , والتاريخ لا ينكر الذكاء الذي اتصف به نفاث حيث "كان يحضر مجالس الإمام رحمه الله يقرأ عليه فكان يجتهد ويجهد نفسه في دراسة العلم"¹ حتى تفوق على أستاذه , عندئذ تطلع إلى السلطة والحكم , وقد وصل به الحد إلى إخراج مجموعة من الفتاوى التي يسميها الدرجيني "فتاوى غريبة لنفاث"² وقد أورد الباروني هذه الفتاوى :

"أنكر نفاث الخطبة في الجمعة وادّعى أنها بدعة وضلال.

أنكر استعمال الإمام العمال والسعاة لجباية الحقوق الشرعية.

اعتبر أن ابن الأخ الشقيق أحق بالميراث من الأخ إلى الأب"³

1-الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب , ص: 78

2-المصدر نفسه, ص: 78

3-الباروني: الأزهار الرياضية , ص: 94

تمرد نفاث كان له أسباب ودوافع , منها الزاد المعرفي الذي تزود به , حيث جعله هذا يرى نفسه أحق بالحكم من أستاذه الإمام أفلح , إضافة إلى حبه الشديد للسلطة والطموح إليها , وهذا ما جعله يخرج عن طاعته , على الرغم من أن الدولة بلغت خلال فترة حكمه أوج ازدهارها ورفيها , حتى أنها صارت وجهة اقتصادية ومعرفية للدول المتاخمة لها , لكن هذا لم يشفع له عند نفاث الذي تسلح بعلمه كي يدعم وجهة نظره فيما يخص مخالفته له , حتى يتمكن من أن "يضمّر الطعن فيه بوصفه سبب ضياع أمور المسلمين"¹

1-الدرجيني : طبقات المشايخ بالمغرب , ص: 78

ب/ الأنساق المعلنة في رسالة الإمام أفلح إلى المسلمين في حق نفاث:

لم تخرج الرسائل الرسمية عن نطاق النسق السياسي العام , خاصة في الأنساق المضرة , أما الأنساق المعلنة فقد ارتبطت بالنسق الديني , وهنا يكمن التضاد بين المعلن والمضمر "لأن النص الأدبي قادر على إنتاج الأنساق الإيديولوجية المتضادة."¹ ويمكن إيراد الأنساق المعلنة كالتالي :

-الخضوع لله بحمده وشكره: يتمثل هذا النسق المعلن من خلال الدعاء والحمد والشكر التي مارسها الإمام لأن نعم الله لا تعد ولا تحصى , ولعل هذه المقدمة محور أساسي لدى أهل العلم من بني رستم سواء كان في الخطب أو في الرسائل , والجمل الثقافية لهذا النسق هي كالاتي : "...ألبسنا وإياك عافيته وكفانا وإياك مهمات الأمور برحمته , ... فله الحمد كثيرا والشكر دائما ,أتاني كتابك بالذي أحب من سلامتك وحسن حالك وتواتر نعم الله عليك وإحسانه إليك."²

-الطاعة/التمرد: يأتي هذا النسق المعلن لكي يدل على ثنائية ضدية بين أهل الطاعة وأهل التمرد على الحكم , فالإمام يصف رعيته بأهل الطاعة , ولأنهم كذلك كان الهدى في أيديهم . أما أهل التمرد فإن الإمام لم يصفهم , واكتفى فقط بذكر ما كتبه إليه رعيته في شأن ذلك التمرد من نفاث الذي وصفوه بعديم الخبرة (غلام حدث غر لا تجربة له في الأمور) , والجمل الثقافية التي تمثل هذه الثنائية النسقية هي كالاتي :

"الهدى في أيديكم

الحق ما شرعه لكم سلفكم الصالح والأئمة المرضيون

غلام حدث غر لا تجربة له في الأمور فنخاف أن جشمناه السفر والشخوص أن تحمله اللجاجة مع إعجاب الرأي والتهيه بالنفس على التماذي فيهلك به نفسه ...أخذ بخلاف ما مضى عليه سلفه وأحدث مقاله"³

-العتاب والعتاب: في هذا النسق المعلن يتوعد الإمام أفلح المتمرد على الدولة والسلطة بالعتاب , ويصفه بصاحب البدع , كما أنه يعاتب رعيته على خشيتهم من فتاوى هذا المتمرد , خاصة أنهم أهل الطاعة والهدى والسنة الشريفة , فكيف لهم إذن أن يكثروا من الرسائل في شأنه . والجمل الثقافية لهذا النسق:"[هل انتم على شك من دينكم أو ريبة في أمركم , السنة في أيديكم وأسلافكم الماضون كانوا على حالكم , بل كانت لهم عمال في حال كتمانهم , وكبار يقومون بكل أمر من الحقوق وغيرها في حال الكتمان , وليس أحد منهم يقول ما حكيموه عن هذا الغلام , فلما حدث منه ما حدث ذكرتموه كان أمرا واضحا...وأنتم على يقين من أموركم فما أحوجكم إلى مجيئه...]"⁴ . هذا ما يخص العتاب الذي خص به رعيته .

1-يوسف عليمات : النسق الثقافي في قراءة في أنساق الشعر العربي القديم , عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع , أريد , ط 1 , 2009 , ص 168

2-الباروني : الأزهار الرياضية , ص : 97

3-المصدر نفسه , ص : 97

4-المصدر نفسه , ص : 97

أما الجمل الثقافية التي تخص العقاب فهي كالآتي :

"...إن أبي إلا التماذي فأنتم تعلمون السيرة , فمن ابتدع في الدين وشق عصا الإسلام وقال بخلاف الحق فإنه محقوق به أن يهجر ويقصى ويبعد..."¹.

-الرجوع والتوبة: في الدين الإسلامي معروف أنه إذا تاب متمرّد ورجع عن فحوى بدعه وجب على المسلمين الترحيب به لأنه تاب , ولأن الدولة الرستمية دولة مسلمة كان لا بد لها أن تحقق تعاليم الإسلام وقد ذكر الإمام أفلح الترحيب بالتائب سواء كان نفاث أو غيره , والجمل الثقافية من الرسالة هي كالآتي: "[فقدموا عليه فإن رجع عن مقالته ونزع عن بدعته فمقبول منه رجوعه ومرحبا بالتائب حيث كان ومن كان وأين كان ...]"².

-نفاث من المسلمين: يأتي هذا النسق ليسوق فكرة أن نفاث مهما كانت درجته العلمية يبقى رجلا من المسلمين , وتجب في شأنه العقوبة شأن غيره , والجمل الثقافية التي تؤكد هذا النسق هي: "...نفاث مثل واحد من الناس لا أخصه بشيء دون غيره والسيرة فيه وفي غيره والسنة قائمة وحكم الله لا يزول ولا يتبدل..."³.

-الخليفة صاحب السلطة: لا يعلو أحد على الخليفة فهو فوق كل اعتبار وليس للرعية حق في الوثوب عليه أو التدخل في الأمور السياسية التي تخصه , والجمل الثقافية المعبرة عن هذا النسق المعلن هي: "[وليس للرعية الوثوب على السلطان حتى ترفع ذلك إلينا لأن الوثوب على السلطان والاقتفاء للخصال التي نحن أولى بالنظر فيها خطأ من الرعية وضرب من ضروب السائبة لأن هذا وضربه مما لا يعلم باطنه إلا بالبحث وقد يظن الظان في المر فإراه خطأ وهو عدل من حيث لا يعلم ولم يظلم من دعاكم إلى نفسه وكلفكم بأن ترفعوا أموركم إليه لأن في ذلك شفقة منا عليكم ان تهلکوا من حيث لا تعلمون]"⁴.

في الأخير يمكن أن نخلص إلى أن الرسالة طبعت بالطابع الديني أو النسق الديني في شقها المعلن ولأن المعلن ضد المضمّر, سنكتشف مدى تناقض الأنساق المضمرة مع الأنساق المعلنّة.

1-المصدر السابق: ص97.

2-المصدر نفسه: ص97.

3-المصدر نفسه: ص97.

4-المصدر نفسه: ص97.

ج/ الأنساق المضمرة في رسالة الإمام أفلح إلى المسلمين في حق نفاث :

الثقافة مجال شاسع يتكون من عدد لا متناهي من الأنساق المعلنة والمضمرة, لذلك وجب في القراءة الثقافية استحضار السياق الثقافي لكي تتمكن من كشف تلك الأنساق الثقافية وهذه الفكرة يؤكدها يوسف عليمات في كتابيه (جماليات التحليل الثقافي والنسق الثقافي قراءة في أنساق الشعر الغربي القديم) وهو يقول في هذا السياق "بأن تأويل الأنساق الثقافية والأيدولوجية في بنية النص يستوجب تكوين جهاز معرفي شمولي من قبل القارئ الثقافي".¹

في هذه الرسالة نجد الأنساق المضمرة تتحرك في ثلاثية نسقية تتكون من السلطة والمعارضة والموالاتة , وهي تنتظم كالآتي:

-**نسق الأنا /النسق السلطوي/الإمام أفلح** وقرينته من النص هي ورود اسم الإمام في عنوان الرسالة ثم في بداية الرسالة, فهو بمثابة المرسل وصاحب السلطة وصاحب القرار , الراعي لرعيته والحامي لحدود دولته من الأعداء الرؤوف الرحيم بالضعفاء , لكن في هذه الرسالة النسق السلطوي لا يتصف بهذه الصفات فحسب بل زادت صفاته في الجانب العلمي عامة والأدب خاصة فهو صاحب لغة تعادل السلاح في قوته وتأثيره.

-**النسق الآخر/الرعية/الموالي** وقرينة هذا النسق من النص هو ورود اسم الرعية في الرسالة بالإضافة , إلى وصفهم بأهل الطاعة , والرعية هنا بمثابة مرسل إليه ظاهر فهو مرسل إليه مطيع لأمر خليفته في كل الأمور ماعدا المسائل الخاطئة لأنهم أهل الطاعة .

-**النسق الآخر/نفاث/المعارض** وقرينة هذا النسق من النص هو ورود اسم نفاث في الرسالة , وهو يمثل مرسل إليه ضمني ؛ بمعنى أن الرسالة جاءت كخطاب مضمّر مرسل لنفاث , والمعروف أن النسق المعارض يعارض بالسلاح , لكن نفاث عارض أستاذه بعلمه , وهذا الأسلوب يجعل منه نسق معارض من نوع خاص ويلزمه معاملة خاصة لكي يرجع عما أقدم عليه .

القسم الأول من الرسالة :

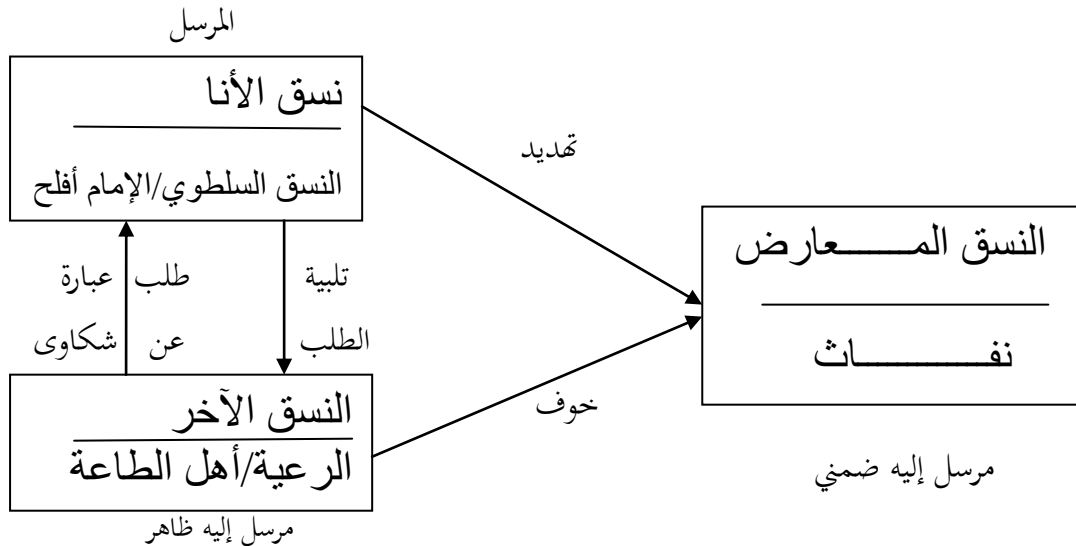
"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
من أفلح بن عبد الوهاب إلى...أما بعد ألبسنا وإياك عافيته وكفانا وإياك مهمات الأمور برحمته كتبت إليك وأنا من قبلي من خاصتي والرعية عامة على أحسن حال جرت به عادته وتواترت به نعمائهم فله الحمد كثيرا والشكر دائما أتاني كتابك بالذي أحب علمه من سلامتك وحسن حالك وتواتر نعم الله عليك وإحسانه إليك وإلى من قبلك من الرعية وأهل الطاعة فسرتني بذلك وحمدت الله كثيرا وسألته تمام النعمة علينا وعليكم برحمته إنه مجيب وذكرتم أمر نفاث وأكثرتم فيه الكتب ووصفتهم عنه أشياء لا يشك احد منهم في انها بدعة وخلاف لما مضى عليه سلفكم فإن يك كما وصفتم فما ينبغي لأحد منكم أن يخالجه

1-يوسف عليمات : النسق الثقافي قراءة في أنساق الشعر الغربي القديم ,ص 168

شك في أن ذلك ضلال لأن الهدى في أيديكم والحق ما شرعه لكم سلفكم الصالح والأئمة المرضيون رضي الله عنهم..."]¹.

ابتدأ نسق الأنا/الإمام أفلح بالدعاء لنفسه وللنسق المعارض / نفاث , والدعاء في اللغة يأتي "بمعنى الاستغاثة ويحمل الدعاء أيضا معنى العبادة"² , وهذا يتوافق مع معناه الاصطلاحي و"الذي يعني كل ذكر لله عز وجل والثناء عليه بصفاته وأسمائه"³. والدعاء الذي مارسه نسق الأنا/نسق السلطة بعيد عن معنى الاستغاثة وإنما جاء كنوع من التذكير بنعمته مما يدل على قوة النسق السلطوي وحكمته . وبما أن هذه الرسالة جاءت عقب ورود أخبار تمرد النسق المعارض , فإن هذه المبادرة من النسق السلطوي تنم عن حكمته وتريثه في حل الأمور , وبهذا يرتفع النسق السلطوي بمقامه أكثر فيصبح إماما حكيما وليس خليفة فقط , لأنه رجع إلى العقل لا للقوة , والرجوع في التحكيم إلى العقل يصبح أكثر تأثيرا من قوة السلاح , وهنا تصبح صورة الإمام أفلح / النسق السلطوي إيجابية في نظر رعيته , إضافة الى زرعها الأمان في نفس النسق المعارض /نفاث , وبالنظر إلى عنوان هذه الرسالة (رسالة أفلح إلى المسلمين في حق نفاث) فإننا نجد بها بمثابة محاولة لإرضاء الرعية على سكوتها في بادئ الامر , أي في بداية تمرد نفاث ؛ ومن هنا فهذه الرسالة عبارة عن أمان للنسق المعارض/نفاث وإرضاء للرعية / النسق الآخر .

واستخدام النسق السلطوي/ الإمام أفلح للرسائل بدلا من الأسلحة ينم عن ذكاء كبير , فهو يعرف مدى قوة تأثير الكلمة في نفوس الناس لذلك كتب هذه الرسالة , وأيضا لأنه أراد عدم التسرع والتهور في أمور يمكن أن تحل بطريقة سلمية أو ربما لأن نفاث تلميذ الإمام أفلح , أو يمكن أن تكون ناتجة عن طبيعته الحكيمة في الحكم. من خلال هذا القسم من الرسالة تتضح لنا أقطاب التواصل والتي يمثلها المخطط الآتي :



1- الباروني: الأزهار الرياضية, ص 97 .

2- ينظر: ابن منظور: لسان العرب, ص 266

3- ينظر: عبد الرحمن الميداني: البلاغة العربية, ص 236

و يمتلك النسق السلطوي / الإمام أفصح معجما لغويا بليغا يمكنه من التأثير في رعيته وفي نفثا على حد سواء ,
والجمل الثقافية في الرسالة تثبت ذلك , ومن أمثلتها :

1) الجمل الثقافية الموجهة للنسق المعارض / نفثا

[ألبسنا و إياك عافيته وكفانا مهمات الامور ...]. إن هذه الجملة الثقافية تمثل كرم أخلاق هذا الإمام , لأن
الدعاء بالخير للعدو عادة صفة لا يمكن أن يتصف بها النسق السلطوي الذي غالبا ما يحمل دلالات توحى
بالتحجر والقوة وحمل السلاح في وجه المتمردين دون تعقل , وهي صفات تجعل من النسق السلطوي طاغية , لكن
في هذا السياق إنزاح هذا النسق عن دلالاته السائدة / الطغيان إلى دلالة الحكمة . فهو يرسل رعيته لإرضائهم ,
في حين أنه كان من الممكن أن يعاقب النسق المعارض / النفثا ويجعل منه عبرة , لكنه اختار هذا الفن النثري
لاحتواء رعيته ونفثا معا.

2) الجمل الثقافية الموجهة للنسق الآخر / الرعية

[وإلى من قبلك من الرعية وأهل الطاعة فسريني بذلك وحمدت الله كثيرا وسألته تمام النعمة علينا وعليكم برحمته إنه
مجيب وذكرتم أمر نفثا و أكثرتم فيه الكتب ووصفتم عنه أشياء لا يشك أحد منكم في أنها بدعة...]
في بداية هذه الفقرة نجد النسق السلطوي / الإمام يصف الرعية بأهل الطاعة ثم يحمدهم الله عز وجل ويسأله النعمة
لهم، وهو بإطلاق وصف أهل الطاعة على رعيته يسعى إلى احتوائهم , خاصة وأنهم أكثروا الرسائل في شأن
نفثا . بعد وصف رعيته ينتقل النسق السلطوي/الإمام إلى جملة ثقافية يبين فيها تصديقه لرعيته فيما كتبه له في
حق نفثا , لأنهم أهل الطاعة , ولا يمكن لأحد أن يخالجه شك حول ما كتبه . ولأنهم من أهل الطاعة من
البديهي أن يكون الهدى في أيديهم , ذلك لأنهم يتبعون طريق الحق الذي شرعه لهم السلف الصالح , وهنا نجد
قرينة تدل على استحضار النسق السلطوي/الإمام لشخصيات ثقافية مؤثرة هي السلف الصالح الذي يبدأ من خير
الأنام المصطفى المختار خير الخلق كله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي بمجيئه ساد نور الحق، لأنه بدعوته
إلى الإسلام أخرج الناس من الظلمات إلى النور والطريق المستقيم . ثم الخلفاء رضى الله عنهم والتابعين.
واستحضار النسق السلطوي/الإمام لهذه الشخصيات المؤثرة في الرسالة ما هو إلا دليل على أصل رعيته ، فهو
يريد أن يقول بأنها تابعة للسلف الصالح .

ولم يكتف النسق السلطوي/الإمام باستحضار شخصية النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين فقط , بل قام باستحضار شخصيات ثقافية أخرى هي الأئمة المرضيون الذين تداولوا على الحكم في الدولة الرستمية , بداية من عبد الرحمن بن رستم وصولاً إلى ولده عبد الوهاب بن عبد الرحمن , وذلك لتأكيد فكرة أنه من أسرة تعرف طريق الحق الذي رسمه الرسول صلى الله عليه وسلم , أي أنه باستحضاره لهم يؤكد على أحقيتهم وأحقيته في تسيير زمام الأمور , ووصف المرضيين فقط يكفي لكي يؤكد أنهم أسرة مرضية تحكم بالعدل والحكمة .
وأثناء وصف النسق السلطوي لأسرته بالأئمة المرضيين جعل أنساق سالبة تتوارى خلف هذا النسق البارز , وهي تأكيد جدارته وأحقيته بالحكم لا غير .

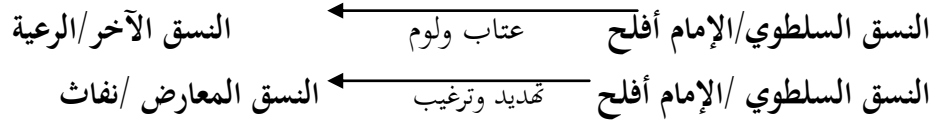
القسم الثاني من الرسالة : "...فمن أتى بعدهم بما تخالف شريعتهم في غير طريقهم فهو ذو بدعة وكل بدعة ضلال وكل ضلال كفر وكل كفر في النار وأنتم على يقين من سنة أسلافكم وقد قلمتم في كتابكم هو(غلام حدث غر لا تجربة له في الأمور فنخاف أن جشمناه السفر والشخوص وان تحمله اللجاجة مع إعجاب الرأي والتهيه بالنفس على التماذي فيهلك نفسه) فما وجه ما سألتهم عن ذلك وهل أنتم على شك من دينكم أو في ريبة من امركم , السنة في أيديكم وأسلافكم الماضون كانوا على حالكم بل كانت لهم عمال في حال كتماهم وكبار يقومون بكل امر من الحقوق وغيرها في حال الكتمان وليس أحد منهم يقول ما حكيتموه عن هذا الغلام فلما حدث منه ما ذكرتموه كان أمره واضحاً وهو أنه أخذ بخلاف ما عليه سلفه وأحدث مقالة لم يقلها عنهم وأنتم على يقين من أمركم فما أحوجكم إلى مجيئه و اشخاصه إن كنتم تريدون أن تعلموا ما نحن عليه فنحن على ما مضى عليه سلفنا ومقرون لما حكيتموه عنه أن قاله فقوموا عليه إذا رجع عن مقالته ونزع عن بدعته فمقبول منه رجوعه ومرحبا بالتائب حيث كان وممن كان وأين كان..."¹

في هذا القسم من الرسالة وجه النسق السلطوي تهديداً لمن حاد عن طريق السلف الصالح وشريعته , ثم قام بلوم وعتاب النسق الآخر/الرعية على ما راودها من شكوك عندما قام النسق المعارض /نفاث بنشر تلك الفتاوى الغريبة والمخالفة لما سنه السلف الصالح , وهذا اللوم والعتاب جاء من خلال حيلة جمالية استخدمها النسق السلطوي /الإمام أفلح في تمرير ذلك , وتمثل هذه الحيلة في أسلوب الاستفهام , وقد تم من خلال أداة الاستفهام هل و"التي يستفهم بها عن التصديق فقط"² لكنها خرجت عن هذا الإطار لتدل على العتاب واللوم .

1-الباروني: الأزهار الرياضية , ص 97

2-عبد الرحمن الميداني: البلاغة العربية ,ص258

أما التهديد الذي مارسه النسق السلطوي /الإمام أفلح فإنه يتضح لنا من خلال الجملة الثقافية [فمن أتى من بعدهم بما يخالف شريعتهم ويأخذ في غير طريقهم فهو ذو بدعة] وبدأ تهديده بوصف النسق المعارض/نفاث المخالف لشريعة السلف الصالح على حد تعبيره بأنه صاحب بدعة , فهو مارس تهديدا ضد كل من يخالف الشريعة ثم أوضح عقاب كل بدعة بداية من الضلال وصولا إلى النار , فهو بهذا نقل الوظيفة النسقية للجملة الثقافية (الاستفهام) من صيغة التصديق إلى صيغة العتاب واللوم , ثم عاد النسق السلطوي ليطبق شريعة السلف الصالح من حيث الترحيب بالتائب لكن في كلامه [..حيث كان وممن كان وأين كان..] نخلص إلى أن الإمام أفلح /النسق السلطوي نفى عن نفاث درجته العلمية المعروفة عند الناس , بالإضافة إلى نفيه عن نفسه أن يكون قد سار في طريق يخالف ما شرعه له السلف الصالح , والأنساق المضمرة من خلال علاقاتها تتحرك كالآتي :

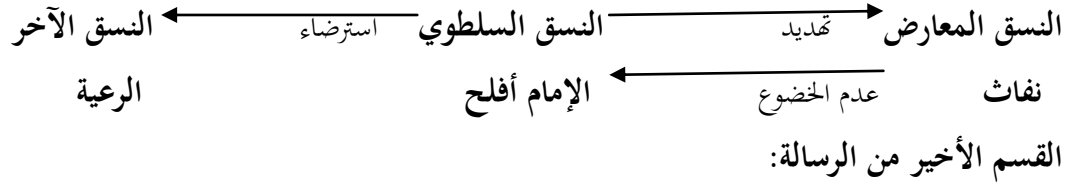


القسم الثالث من الرسالة :

" [وإن أبي إلا التمادي فأنتم تعلمون السيرة فمن ابتدع في دين الله وشق عصا الإسلام وقال بخلاف الحق فإنه محقوق بأن يهجر ويقصى ويبعد و نفاث واحد من الناس لا أحصه بشيء دون غيره والسيرة فيه وفي غيره والسنة قائمة وحكم الله لا يزول ولا يتبدل فأنا اشهد الله على ما كان...]"¹

بعد الترحيب بالتائب في القسم السابق من الرسالة يأتي عتاب غير التائب , فالنسق السلطوي / الإمام أفلح يأمر بعقاب النسق المعارض /نفاث بالهجر والإقصاء والإبعاد , لكنه لم يذكر الموت وهذا دائما يحيلنا على أن النسق السلطوي/ الإمام أفلح لم ينس أن النسق المعارض /نفاث تلميذه , ثم يعود لينفي معاملته الخاصة لنفاث فضلا عن غيره من الناس , ويؤكد بعد النفي على أن السنة قائمة في النسق المعارض /نفاث حتى لو كان ذو شأن وذو علم ومعرفة , فهذه الصفات لا تغفر له و لن تشفع له بدعته لأن حكم الله لا يزول ولا يتبدل .
 وحركة الأنساق في هذا القسم هي كالآتي :

1-الباروني: الأزهار الرياضية, ص97



"[فمن قرأ عليه كتابي فليسمع وليطع ولينتبه إلى ما أمرت به فمن انتهى إليه كتابي هذا في حرج أن قصر عما أمرت به ومن عاب احدا من عمالنا بمخضلة من الخصال أو انكر عليه شيئا فليرفع ذلك إلينا فنكون نحن الذين يغيرونه إن كان مما يغير وليس للرعية الوثوب على السلطان حتى ترفع ذلك إلينا لأن الوثوب على السلطان والافتقار إلى الخصال التي نحن أولى بالنظر فيها خطأ من الرعية وضرب من ضروب السائبة لأن هذا وضربه مما لا يعلم باطنه إلا بالبحث وقد يظن الظان في المر فإراه خطأ وهو عدل من حيث لا يعلم ولم يظلم من دعائكم إلى نفسه وكلفكم بأن ترفعوا أموركم إليه لأن في ذلك شفقة منا عليكم وأن تهلكوا من حيث لا تعلمون]"¹

في القسم الأخير من الرسالة نجد النسق السلطوي/الإمام أفلح يعيب على النسق الآخر/الرعية وثوبهم على السلطة , لأن هذه الأخيرة أولى من غيرها بالنظر في مثل هذه الأمور , لقوله صلى الله عليه وسلم. "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته : الإمام راع وهو مسؤول عن رعيته , والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته , والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته , والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته ... والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته , وكلكم راع ومسؤول عن رعيته"²

ولذلك وجب على النسق الآخر / الرعية عدم التدخل في أمور الحكم بشكل عام والأمور السياسية بشكل خاص , ورفع الأمور إلى المسؤول ليس قصرا أو عجزا بل طاعة وعدم تجاوز .

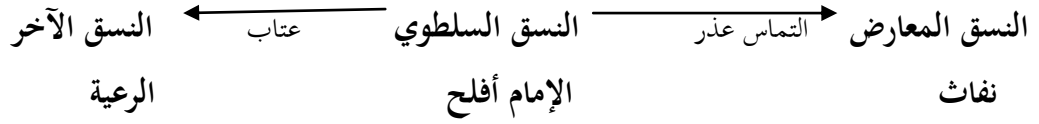
أطلق النسق السلطوي / الإمام أفلح وصف الوثب على السلطان بضرب من ضروب السائبة وتعنى الإنسان التائه والضال , والغاية من هذا الوصف أن النسق السلطوي يمرر فكرة أن الرعية بلا حاكم تشبه العبد التائه والضال , ولذلك وجب عدم الخروج عن القواعد التي رسمت للرعية من طرف السلطة .

في هذا القسم أيضا يعود النسق السلطوي ليلتمس العذر للنسق المعارض /نفاث الذي أنكر مكانته في الأقسام الأخرى من الرسالة , وهذا أمر راجع إلى أن النسق السلطوي / الإمام أفلح يعرف مكانة النسق المعارض / نفاث وثقافته الواسعة سواء كانت الدينية منها أو السياسية , ولكي يثبت أنه على حق قرر مواجهة النسق المعارض /نفاث بالرسائل وليس بالسلاح.

1-المصدر السابق , ص 97

2-أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري : صحيح البخاري , دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع , دمشق , ط 1 , 2002 , ص: 217

وهذا ليس بضعف من النسق السلطوي , وإنما حيلة استعملها لأنه يعرف إمكانات النسق المعارض /نفاث , بمعنى أن نفاث نسق معارض من نوع خاص وذو مكانة خاصة , لكن هذه المكانة العلمية الكبيرة لم تكن كافية بالنسبة للنسق المعارض لأنه يسعى لأكثر منها وهي السلطة , ومن المعروف أنه بالعلوم تتواضع العقول لكن في حالة نفاث زادته غرورا وتجبرا وطمعا أكثر . وحركة الأنساق في القسم تأتي على هذا النحو :



من خلال ما تقدم نجد أن الأنساق المضمرة جاءت مناقضة للأنساق المعلنة , فالأولى حملت الطابع السياسي , أما الثانية فقد حملت الطابع الديني .

2- الرسالة الثانية : رسالة الإمام أفلح إلى صاحب الأندلس::

أ/ قصة رسالة الإمام أفلح إلى صاحب الأندلس:

إن نزول القرآن بلغة الضاد من حكيمته عز وجل , فهي قدرة على الإقناع إذا حاد أي شخص عن الطريق أو تمرد لكن في نفس الوقت قدرة على صنع علاقات لا تتزعزع , فالإمام أفلح مارس سياسته عن طريق اللغة سواء الخارجية أو الداخلية . وقد ذكر الباروني أن الإمام أفلح كانت له مع "ملوك الأندلس ارتباطات ومودة يهادونه بالهدايا النفيسة ويهاديهم بمثلها وله عندهم شهرة ومقام رفيع ينظرونه بعين المهابة وعين الإجلال والاعتبار , بحيث لم يحم حول مملكته طامع من الملوك الأخرى توخيا من وثبته واندهاشا من صولته...¹ لكن هذه الهيبة لم تطل "ابو العباس محمد بن الأغلـب" , فقام بالاستيلاء على أغلب الشطوط الافريقية وذلك لما سكن الطمع قلبه , ووصل به التوغل إلى حدود تيهـرت , وقام ببناء مدينة أطلق عليها اسم العباسية , والإمام أفلح رحمه الله كان على علم بكل شيء لكنه سكت حتى أنهى أبو العباس بنائها وشيد أسواقها ووثب عليه "الإمام أفلح" وثبة الأسد بجيوشه وأجلاهم منها وأبقاها خاوية على عروشها , فهو قام بإحراق مدينة العباسية التي شيدت بالقرب من مدينة تيهـرت ثم قام بكتابة رسالة إلى صاحب الأندلس يتقرب إليه.²

جاءت هذه الرسالة بعد حادثة حرق العباسية لتوطيد العلاقات التي كان من الممكن أن تتأزم وتتصدع .

1- الباروني : الأزهار الرياضية , ص 89

2- ينظر : المصدر نفسه , ص 89

ب/الأنساق المعلنة في رسالة الإمام أفلح إلى صاحب الأندلس:

-الدعاء : يتجلى الدعاء كأسلوب في رسائل الرستميين سواء للعدو المعارض أو الصديق المقرب , وهذا ما استخدمه الإمام أفلح , فهو في الرسالة السابقة قام بالدعاء للعدو أما في هذه الرسالة فجاء الدعاء للصديق , والجمل الثقافية التي استخدمها الإمام لهذا النسق هي : "[...ألبسك الله عافيته...]"¹

-نعم بني آدم: ذكر الإمام أفلح نعم الله على بني آدم لأنها لا تعد ولا تحصى , منها تكريمهم على الخلق كلهم و الإمكانيات التي سخرها الله سبحانه وتعالى لهم من جبال وشجر , فنعم الله تعجز الألسن عن وصفها , فالله سبحانه أكرم خلقه وجعلهم أحسن من عمّر الأرض , ولذلك وجب التذكير بالنعم لأنها تعتبر عبادة , والجمل الثقافية لهذا النسق هي :

"... فإني أذكرك عظمة لا تنساها وفكر في صغير خلقتك , وفي عظيم ما خلقه الله وما جعله من النكال والعذاب لابن آدم وما عاقب به من فاز برحمته من عظيم خلقه من السموات والأرض والجبال والشجر وأذكرك ما أعد الله لابن آدم من الكرامة التي تكل الألسن عن وصفها..."²

-النصح والوعظ : جاء هذا النسق على شكل نصائح لصاحب الأندلس , والجمل الثقافية التي تمثل هذا النسق هي كالآتي :

"...أقول لك في هذا الدواء هو الاستغاثة إلى الله في العصمة فمن أراد به الإحسان عصمه أي حفظه من الإصرار على المعاصي..."

"...أطلب الله وارغب إليه في العصمة والتوفيق وأن يحول بينك وبين عدوك فاقبل واجتهد في القبول..."³

من خلال ما تقدم نجد أن الأنساق الثقافية المعلنة لم تخرج عن النطاق الديني , فهي عبارة عن نصح ووعظ , لكن بالنسبة للأنساق المضمرة سنحاول الكشف عن نطاق تحركها , لأننا قد نجد تناقضا , وهذا هو غالبا حال الأنساق المعلنة والمضمرة .

1-المصدر السابق,ص89

2-المصدر نفسه,ص89

3-المصدر نفسه,ص89

ج/الأنساق المضمرة في رسالة الإمام أفلح إلى صاحب الأندلس:

تندرج الأنساق المعلنة ضمن الإطار الديني الذي يرتبط بالنصح والوعظ , لكن سنحاول الوقوف على مدى توافقها أو تناقضها مع الأنساق المعلنة.

يمكن تحديد الأنساق المضمرة من خلال الرسالة كالتالي :

-نسق الأنا/النسق السلطنة/الإمام أفلح بن عبد الوهاب : وقرينته من النص هي ورود اسم الإمام .

-نسق الآخر/النسق السلطوي/صاحب الأندلس البشير بن محمد: وقرينته من النص هي ورود اسم صاحب الأندلس باعتباره مرسلًا إليه.

القسم الأول من الرسالة :

"باسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

من أفلح بن عبد الوهاب إلى البشير بن محمد سلام عليك وإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على سيدنا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ...

أما بعد ألبسك الله عافيته فغني أذكرك عظمة لا تنساها وفكر في صغير خلقتك وفي عظيم ما خلقه الله وما جعله من النكال والعذاب لابن آدم وما عافى به من فاز برحمته من عظيم خلقه من السموات والأرض والجبال والشجر وأذكرك ما أعدده الله لابن آدم من الكرامة التي تكل اللسان عن وصفها فلو لم تكن كرامة نطلب إلا النجاة من جهنم لكان في ذلك ما ينبغي للعبيد ان ينصفوا من أنفسهم ويفارقوا جميع الملذات إلا أني اقول لك أن الدواء في هذا هو الاستغاثة إلى الله في العصمة فمن أراد به الاحسان عصمه اي حفظه من الإصرار على المعاصي ووقفه غلى التوبة...]"¹

لقد ابتدأ نسق الأنا/النسق السلطوي بالدعاء إلى النسق الآخر/النسق السلطوي , والدعاء هنا جاء بحكم ما هو سائد في الكتابة , فهو بمثابة الامتداد الذي لا يمكن لأحد تجاوزه. والدعاء في الكتابات الرسمية خاصة منها الثرية أشبه بعمود الشعر , فهو قاعدة لا يحيد عنها خطيب أو إمام.

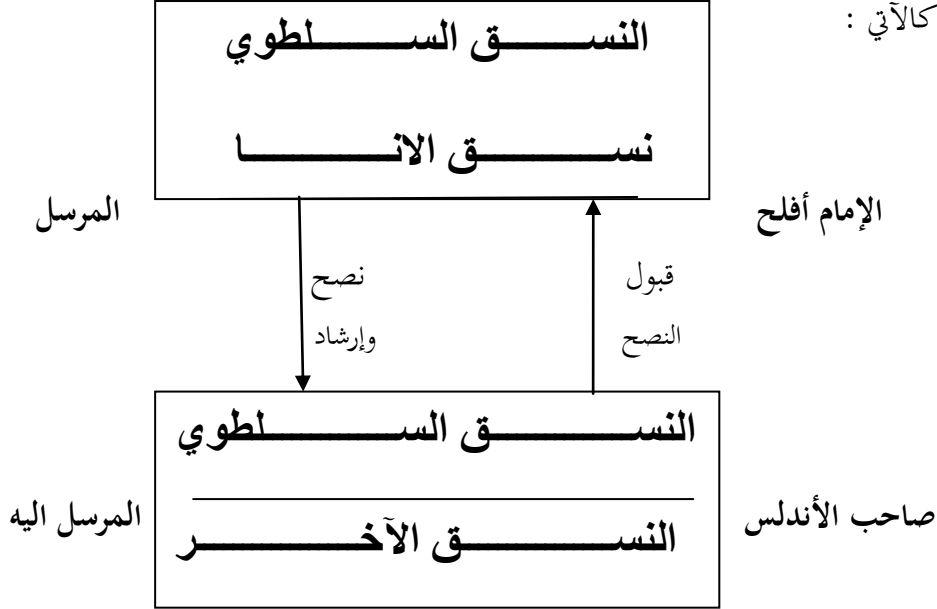
أغرق نسق الأنا/النسق السلطوي في النصح كونه إماما له مؤلفات في المواعظ , ولما كان له من مكانة عند صاحب الأندلس الذي كان يعتبر أي نصيحة من إمام مثل الإمام أفلح بمثابة الهدية .

إن نصائح النسق السلطوي /الإمام أفلح إلى النسق السلطوي/صاحب الأندلس لم تكن فقط تعبيراً عن المودة والاحترام , بل كانت لها أغراضها السياسية التي تبعت حادثة حرق مدينة العباسية .

1-المصدر السابق , ص: 89

في هذا القسم الأول نجد أن النسق الآخر/النسق السلطوي متواضع لقبوله النصيحة وهو صاحب سلطة , لكن كما قلنا النصيحة من الإمام أفلح كونه إماما له شأنه وله بعده الفكري والديني والعلمي , وتأتي حركة

الأنساق كالاتي :



القسم الثاني من الرسالة:

"...وجعله من أوليائه الذين قال لإبليس فيهم أن عبادي ليس لك عليهم سلطان واطلب وارغب إليه في العصمة والتوفيق وأن يحول بينك وبين عدوك واعلم أنه لا شيء لمن عقل خير ممن وعظه ومن موعظة يأخذها فاقبل واجتهد في القبول إلى أن قال: وأما ما ذكرته من أن أجعل لك سبيلا وأطلق يدك وان الحاضر يرى ما لا يراه الغائب فلعمري انه كذلك ولكن ليس في هذا وإنما هي اسهم جعلها الله وأوقفها وهي وسخ أموال الناس وليس لنا فيها قضاء ولا زيادة ولا نقصان ولا أمر ولا نهي إلا على قدر الاجتهاد فاتق واجتهد جهدك في توفير الحقوق وتوجيهها إلينا و على هذا مضى من كان قبلك..."¹

في هذا القسم من الرسالة نجد أن نسق الأنا/الغمم أفلح وظف أفعال الأمر لتكتمل نصيحته , والأمر معروف أنه "طلب تحقيق شيء مادي أو معنوي"² وأمثله من الرسالة هي الأفعال التالية :

(اطلب , ارغب), (اقبل , اجتهد), (اتق , اجتهد)

ويمكن إدراجها في الثنائيات التالية :

الثنائية الأولى: (أطلب , ارغب).

في هذه الثنائية نسق الأنا المتمثل في الإمام أفلح ينصح نسق الآخر المتمثل في صاحب الأندلس بالدعاء إلى الله وطلب مغفرته والرغبة في التقرب إليه عز وجل .

1-المصدر السابق ص89

2-عبد الرحمن الميداني , البلاغة العربية , ص: 228

الثنائية الثانية : (اقبل , اجتهد)

نسق الأنا / النسق السلطوي ينصح النسق الآخر/النسق السلطوي بالاجتهاد في قبول الموعظة من الواعظ .

الثنائية الثالثة : (اتق , اجتهد)

نسق الأنا / الإمام أفلح ينصح النسق الآخر/صاحب الاندلس بالاجتهاد في تقوى الله.

من خلال هذه الثنائيات نجد أن نسق الأنا / النسق السلطوي / الإمام افلح يحمل صفة الناصح في حين النسق

الآخر/النسق السلطوي/صاحب الاندلس يحمل صفة المنصوح , وهذا يدل على قيمة الإمام ومكانته عنده ,

وكذلك تواضع صاحب الاندلس لقبول النصيحة .

يمكن القول في الأخير ان هذه الرسالة جاءت بمثابة نصائح لصاحب الاندلس غايتها السطحية والظاهرة هي

النصح , أما غايتها المضمرة فهي توطيد العلاقات بعد حادثة حرق العباسية .

ثالثاً-الشعر الرستمي : قراءة ثقافية

1-القصيدة الأولى : قصيدة الإمام أفلح في فضل العلم

أ/الأنساق المعلنة في قصيدة الإمام افلح في فضل العلم

-فضل العلم

-رحلة طلب العلم

-النصح والوعظ

ب/الأنساق المضمرة في قصيدة الإمام أفلح في فضل العلم

-نسق الأنا/ الإمام أفلح

-نسق الآخر / الرعية

-نسق الآخر / المتلقي

-نسق الآخر / المعارضة /الولاء ورؤساء القبائل

2-القصيدة الثانية : قصيدة بكر بن حماد في هجاء عمران بن حطان

أ/ الانساق المعلنة في قصيدة بكر بن حماد في هجاء عمران بن حطان

-لا مرد لقضاء الله وقدره

-ترهيب بن ملجم

-مناقب الإمام علي

-تأثر الشاعر بحادثة مقتل الإمام علي

-الشاعر يصف بن ملجم بالشيطان

-ازدراء قبيلة بن ملجم

-ابن ملجم أخسر الناس ميزانا يوم القيامة

-الدعاء على عمران بن حطان

-المدح المبطن بالهجاء

ب/الأنساق المضمرة في قصيدة بكر بن حماد في هجاء عمران بن حطان

-نسق الأنا / بكر بن حماد

-نسق الآخر / ابن ملجم

-نسق الآخر / عمران بن حطان

ثالثاً-الشعر الرستمي : قراءة ثقافية :

1-القصيدة الأولى : قصيدة الإمام أفلح في فضل العلم

أ-الأنساق المعلنة في قصيدة الإمام أفلح في فضل العلم: تمحورت الأنساق المعلنة في القصيدة في ثلاث

محاور كبرى هي :

-**فضل العلم:** يبرز هذا النسق المعلن بشكل جلي وواضح في القسم الاول من القصيدة بداية بالمطلع فالمقدمة ثم ما يليهما من الأبيات حيث وضع الشاعر الفضل الكبير للعلم على اهله , ثم فضل اهل العلم على الناس , فأهل العلم احياء بعلمهم وإن ماتوا , لهم من المكانة عند الله وعند الرسول صلى الله عليه وسلم ما يخولهم لان يكونوا ورثة للأنبياء مرشدين للناس , داعين غلى هدي القرآن الكريم والسنة الشريفة عن طريق تفسيرهما وشرحهما للناس , ويواصل الشاعر في ذكر فضائل اهل العلم وأهله ويعمد إلى مقارنتهم بالجاهلين من الناس المعرضين عن طلب العلم , ويوضح حال كل فريق في الدنيا والآخرة عند الله وعند الناس , فالعلم عند ذكر اسمه فقط شرف في حين ان الجهل عار عظيم والجمال الثقافية هي الأبيات من 1-32 لكن سنكتفي فقط بذكر أمثلة:

وَلْيَلْهُم بِشُمُوسِ الْعِلْمِ قَدْ نَارًا	" الْعِلْمُ أَبْنَى لِأَهْلِ الْعِلْمِ آثَارًا
يُرِيكَ أَشْخَاصَهُمْ رَوْحًا وَإِبْكَارًا	يَجِي بِه ذِكْرُهُمْ طُولَ الزَّمَانِ وَقَدْ
إِنْ كَانَ فِي مَنْهَجِ الْأَبْرَارِ مَا مَارَا	حَيٍّ وَإِنْ مَاتَ ذُو عِلْمٍ وَذُو وَرَعٍ
مَا مَاتَ عَبْدٌ قَضَى مِنْ ذَاكَ أَوْطَارًا	أَوْ أَنَّهَا غَبَرَتْ أَشْخَاصَهُمْ وَمَضُوا
وَلَا يُبَايِي أَحْيَرًا نَالَ أَمَّ عَارَا	وَذُو حَيَاةٍ عَلَى جَهْلٍ وَمَنْقَصَةٍ
كَمَيَّتٍ قَدْ تَوَى فِي الرَّمْسِ إِعْصَارَا	حَيَاتُهُ عَدَمٌ فِي طُولِ مُدَّتِهِ
فِي كُلِّ أَفْقٍ مِنَ الْأَفَاقِ أَنْوَارَا	لِلَّهِ عُصْبَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِنْ هُمْ
فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ غُيَابًا وَحُظَارَا	نَالُوا الْأَمَانِي بِهِ طَرًا وَبَانَ هُمْ
وَمَنْ يُرِدْ غَيْرَ خَيْرِ الْعِلْمِ مَا اخْتَارَا	الْعِلْمِ عِلْمٌ كَفَى بِالْعِلْمِ مَكْرُمَةً
وَالْجَهْلُ جَهْلٌ كَفَا بِالْجَهْلِ أَدْبَارَا" ¹	كَمْ جَاهِلٍ بِأُمُورِ الدِّينِ مُتَحَبِّطٍ

-**رحلة طلب العلم:** بالانتقال إلى هذا النسق المعلن يتضح لنا ان النسق السابق له كان بمثابة تمهيد ابتدأ به

الشاعر أولاً ليرغب الناس ويحبب العلم على نفوسهم , ويريهم من فضائله ما يحفزهم على الالتحاق بركب من

سبقهم من أهله وهذه نقطة تحسب للشاعر الذي لم يقصر في الدعوة إلى طلب العلم والاجتهاد في تحصيله

وضرورة التنقل إلى البقاع المتناثرة في أقاصي الارض خاصة ما اشتهر منها بالعلوم والمعارف , من أجل الاتصال

بمشاهير العلماء والاحتكاك بهم والتلمذ على أيديهم , ولم ينس الشاعر أن يبين آداب طلب العلم وحسن معاملة

أهله إضافة إلى اختيار ما يفيد منه والعمل به .

1-الباروني: الأزهار الرياضية, صص: 90,91

وأمثله من القصيدة :

" أَشَدُّ إِلَى الْعِلْمِ رَحَلًا فَوْقَ رَاحِلَةٍ
وَاعْصِ الْكَرَى وَأَصْطَبِرْ دَهْرًا عَلَى أَرْقِ
وَاصْبِرْ عَلَى دَلَجِ الْإِعْسَاقِ مُعْتَسِمًا
وَابْتَدُلْ مِنَ الْجُهْدِ مَا يَشْفِي الْمُوَادَّ وَجِبْ
حَتَّى تَزُورَ رَجَالًا فِي رِحَالِهِمْ
وَأَطْلُ زِيَارَتَهُمْ طُولَ الزَّمَانِ تَجِدْ
وَالطُّفَّ بِمَنْ أَنْتَ مِنْهُ الْعِلْمُ مُفْتَسِسٌ
لَوْ كَانَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ مُنْقَبِضًا

وَكُنْ إِلَى طَلَبِ التَّعْلِيمِ سَيَّارًا
وَصِلْ إِلَى الْعِلْمِ فِي الْأَفَاقِ أَسْفَارًا
وَأَقْطَعْ مِنَ الْأَرْضِ غَيْطَانًا وَأَفْقَارًا
مَا هَامَهُ الْأَرْضُ أَحْزَانًا وَأَقْطَارًا
عَانَ لَهُمْ وَافْتَسِسَ مِنْ نَارِهِمْ نَارًا
فَضْلًا فَأَكْرَمَ بِأَهْلِ الْعِلْمِ زُورًا
وَكُنْ بِهِ مُشْفِيًا بَرًّا وَلَوْ جَارًا
جَدَّدَ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْكَ أَبْرَارًا"¹

-**النصح والوعظ:** وهذا النسق المعلن ليس بغريب عن سابقه وهذا راجع إلى ما عرف به الشاعر من الزهد في الدنيا والإعراض عنها وما يتصل بذلك من الوعظ والتوجيه وهي ميزة أساسية تنفرد بها مؤلفاته ومدوناته الأدبية فنجد في الابيات الاخيرة المخصصة لهذا النسق المعلن جملة متنوعة من النصائح والإرشادات تمثلت فيما يلي :

النهي عن النفاق

صلة الرحم

الجلوس الصالح

الاعتصام بالله عز وجل

التوحيد

وأمثلة هذه النصائح من القصيدة هي كالتالي :

" قَلَّا تُحَادِثُ بِمَا تُبْدِيهِ خَالِقَنَا
وَاجْهَرِ وَسِرِّ التُّقَى وَأَذْرِفْ دُمُوعَ دَمٍ
مَوْلَاكَ يَعْلَمُ مَا تُخْفِي الصُّدُورُ قَلَّا
وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ حِظًّا مِنْ مَذَاكِرَةِ
وَصِلْ إِلَى مَجْلِسِ بَخْلَوِ الْمُؤْمَمِ بِهِ

وَاحْدَرْ وَكُنْ عَنِ قَبِيحِ الْفِعْلِ فَرَّارًا
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُخْفِيهِ إِضْمَارًا
تُقْنُ بِفِعْلِكَ مَهْمًا كُنْتَ عَادَارًا

وَلَا تَكُنْ لِأَخِيكَ الْبِرِّ هَجَّارًا
مَعَ الصَّدِيقِ إِذَا اسْتَوْحَشْتَ إِسْمَارًا"²

1-المصدر السابق, ص:91,92

2-المصدر نفسه, ص:93

" وَجَانِبِ النَّدْلِ لَا تَتْرُكْ سَبَاحَتَهُ
وَعَاشِرِ النَّاسِ وَأَنْظُرْ مَنْ تَعَاشِرُهُمْ
صَاحِبِ أَخَا الصِّدْقِ مَعَ عِلْمِ نُسْرِهِ
فَرُبَّ مُكْتَرٍ صَحْبٍ لَا يَزَالُ يَرَى
وَرُبَّ صُحْبَةٍ مَنْ يَهْوَى الْفَتَى جَلَبَتْ
مَا فِي الزَّمَانِ بَقِي خَلٍ نُسْرٍ بِهِ

وَلَا تَكُنْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ فَرَارًا
فَإِنَّ فِي النَّاسِ صِدَاقًا وَمَكَارًا
فَصَدًّا وَلَا تُكْتِرَنَّ الصَّحْبَ إِكْتَارًا
مَذَاقِ وُدٍّ وَبِالْأَسْنَانِ كَشَارًا
لِنَفْسِهِ فُرْنَاءَ لَهُ قَدْ صَارَ عَدَارًا
إِلَّا الْغَلِيلُ وَذَلِكَ الْفَلُّ قَدْ بَارًا

وَكُنْ بِرَبِّكَ لَا بِالنَّاسِ مُعْتَصِمًا
وَتُوقِ بِهِ وَاسْتَكِنْ فِيمَا دَعَاكَ لَهُ
خَيْرُ الْعِبَادِ عِبَادُ اللَّهِ أَنْ لَهُ
تَرَى لَهُ عِنْدَ خَوْفِ الْعَبْدِ مِنْ ضَرَرٍ

فَالنَّاسُ كَانُوا كَلِمَعِ الْإِلِّ غَرَارًا
كَفَى بِرَبِّكَ رِزَاقًا وَعَقْمَارًا
طَرَفًا إِلَى حَشِيَّةِ الرَّحْمَنِ نَظَارًا
لُطْفًا خَفِيًّا يَرُدُّ الْعُسْرَ إِسْرَارًا

سُبْحَانَهُ صَمَدٌ لَا شَيْءَ يُشْبِهُهُ
أَنَا الْفَقِيرُ إِلَيْهِ أَرْجُو رَحْمَتَهُ

فَرَدُّ قَدِيمٍ مَدِيدُ الْمَلِكِ فَهَارًا
أَقَرَّرْتُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ إِفْرَارًا¹

ب/ الأنساق المضمرة في قصيدة الإمام أفلح في فضل العلم :

يشكل العلم ظاهرة لافتة للانتباه في شعر الإمام أفلح , إذ يلحظ الدارس لشعره أن معظم قصائده تحتفي برؤية خاصة تجاه العلم بأبعاده الرمزية والنسقية النامية في بنية النص الشعري , ولعل في هذا التوظيف الفاعل للعلم في شعر الإمام أفلح وخاصة القصيدة موضوع الدراسة, ما يسمح لنا بمحاولة فك الشفرات النسقية التي تضمها الأنساق المعلنة في أبيات القصيدة التي بدورها تحول العلم إلى ظاهرة ثقافية مركزية ييئث من خلالها الشاعر مواقفه الفكرية والايديولوجية عن طريق جماليات اللغة و إشارياتها .

في القصيدة تتحرك الأنساق المضمرة من خلال النسقين التاليين :

نسق الأنا / الإمام أفلح : ويتضح لنا هذا النسق المضمّر من خلال كتاب الازهار الرياضية الذي ينسب هذه

القصيدة إلى الإمام أفلح وهي تعتبر اشهر قصيدة في الأدب الرستمي ويعتبر هذا النسق مرسلًا للخطاب .

نسق الآخر/الرعية/المتلقي: لكل خطاب مرسل ومرسل إليه وهذا هو شأن هذه القصيدة التي تعتبر رسالة من

الإمام أفلح على مرسل إليه يتمثل في المتلقي .

يقول الإمام أفلح في مطلع قصيدته فضل العلم:

" الْعِلْمُ أَبْقَى لِأَهْلِ الْعِلْمِ آثَارًا
يَجِيءُ بِهِ ذِكْرُهُمْ طُولَ الزَّمَانِ وَقَدْ
وَلَيْلُهُمْ بِشُمُوسِ الْعِلْمِ قَدْ نَارًا
يُرِيكَ أَشْخَاصَهُمْ رَوْحًا وَإِنْكَارًا"¹

أهم ما يمكن ملاحظته في هذه الابيات هو أن نسق الأنا / الشاعر يجذو حذو الشعراء العباسيين الذين كان لهم فضل السبق في الخروج عما كان سائدا ومتعارفا عليه في القصيدة الجاهلية من وقوف على الاطلال في مطالعها, ويمكن تبرير ذلك بسعة اطلاع الشاعر واحتكاكه بعلوم المشرق العربي وآدابه , كما ان لطبيعة المكان الجغرافية اثر

في ذلك , فلا توجد هناك تلك الطبيعة القاسية ولا القبائل ولا غيرها مما يساعد في الوقوف على الطلل , لأن

الدولة الرستمية كما هو معروف دولة مستقرة جغرافيا في رقعة مضبوطة الحدود وبناءا على هذا فإن القراءة الثقافية

الفاحصة لمقدمة القصيدة تظهر ان الشاعر بعزوفه عن المقدمة الطللية لم يكن يقلد القصيدة العباسية الحديثة مجرد

تقليد أعمى , بل عن وعي منه , فتوظيفه لموضوع العلم في مقدمته شكل قيمة ثقافية جديدة تكمن في أنه تمكن

من ان يبدع انساقا جديدة تختلف كل الاختلاف عن تلك التي تشي بها المواضيع الاخرى كالخمر وغيرها في

الشعر العباسي والعلم عموما يقترن في ثقافة الشاعر بمصير دولته ورعيته ويتجلى ذلك في أن الشاعر الذي يمثل

نسق الانا قد خص بالدرجة الاولى رعيته -والتي تمثل نسق الآخر- بهذه القصيدة ويمكن ملاحظة ذلك على

امتداد أبياتها كالتالي :

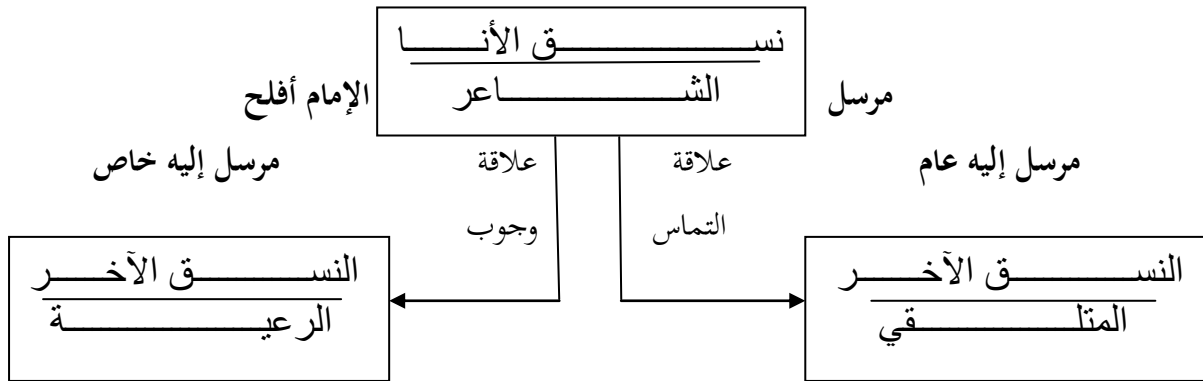
1-المصدر السابق,ص:90

"أَشْدُّ إِلَى الْعِلْمِ رَحْلاً فَوْقَ رَاحِلَةٍ
وَاعْصِ الْكَرْبَى وَاصْطَبِرْ ذَهْرًا عَلَى أَرْقٍ
فَاطْلُبْ مِنَ الْعِلْمِ مَا تَقْضِي الْفُرُوضَ بِهِ
وَأَحْسِنِ الْكَشْفَ عَنْ عِلْمٍ تُطَالِيهِ
فَلَا تُخَادِعْ بِمَا تُبْدِيهِ خَالِقَنَا
وَكُنْ بِرَبِّكَ لَا بِالنَّاسِ مُعْتَصِمًا

وَكُنْ إِلَى طَلَبِ التَّعْلِيمِ سَيَّارًا
وَصِلْ إِلَى الْعِلْمِ فِي الْآفَاقِ أَسْفَارًا
وَأَرْدِفْ بِهِ عَمَلًا فِي الْقَلْبِ نَزَارًا
وَأَنْصِتْ بِحِسِّكَ أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا
وَاحْذَرْ وَكُنْ عَنْ قَبِيحِ الْفِعْلِ فَرَارًا
فَالنَّاسُ كَانُوا كَلْمَعَ الْإِلِّ غَرَارًا"¹

إن منصب نسق الانا / الشاعر ومكانته الرفيعة في الدولة هي ما أعطى له الشرعية التامة في وجيه النصح والإرشاد إلى النسق الآخر/ رعيته , هذا إن لم يكن أمرا ونهيا لأن "الأصل في الامر والنهي أن يدل على الوجوب إذا كانا من الأعلى إلى الأدنى"², وهو ما يتناسب والتوظيف المكثف لأسلوبي الامر والنهي في القصيدة , فالأمر الناهي غالبا ما يكون ذا وعي وحكمة كبيرين , وهو ما يتوفر في الشاعر , لأنه إمام ورجل علم, عرف بورعه وزهده بين الناس , بل إنه كان معلما له من الطلبة و المناظرات وحلقات العلم ما لا يستهان به .

أما إذا استقرنا هذه الأبيات من ناحية ثانية واعتبرنا نسق الآخر هو المتلقي بصفة عامة , فإن أسلوبي الأمر والنهي يدلان على الالتماس لتساوي نسقي الانا والآخر , وهنا يتحول كل من الأمر والنهي على المستوى الرمزي إلى أداتين نسقيتين توحيان بالعلاقة الحركية بين نسقي الأنا/ الشاعر والآخر/ الرعية / المتلقي وهي علاقة تسير في اتجاه واحد في كلتا الحالتين .



ويوظف نسق الانا / الشاعر أداة أسلوبية فاعلة أخرى في القصيدة تتمثل في المقارنة التي يمكن إضافتها إلى قائمة الأدوات النسقية إلى جانب الأمر والنهي , فهو يعتمد في مواضع كثيرة في القصيدة على مقارنة بين ثنائية (أهل العلم, أهل الجهل) من الناس ويوضح الفروقات بينهم يقول :

1- الباروني : الأزهار الرياضية , ص: من 91 - 93

2- مسعود بودوخة : مدخل الى البلاغة العربية وعلومها , بيت الحكمة للنشر والتوزيع , الجزائر , ط 1 , 2015 ص ص: 20 , 21

إِنْ كَانَ فِي مَنْهَجِ الْأَبْرَارِ مَا مَارَا
مَا مَاتَ عَبْدٌ قَضَى مِنْ ذَلِكَ أَوْطَارَا
وَلَا يُبَالِي أَحْيَا نَالَ أَمْ عَارَا
كَمَيِّتٍ قَدْ تَوَى فِي الرَّمْسِ إِعْصَارَا

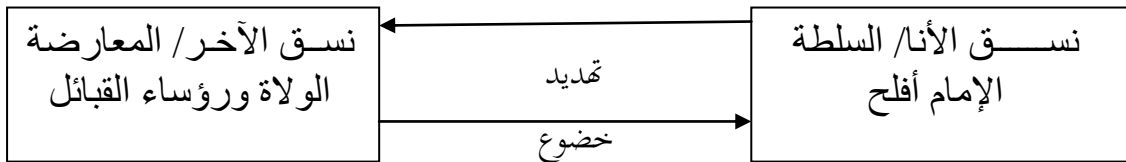
" حَيٌّ وَإِنْ مَاتَ ذُو عِلْمٍ وَذُو وَرَعٍ
أَوْ أَنْهَا غَبِرَتْ أَشْخَاصَهُمْ وَمَضُوا
وَذُو حَيَاةٍ عَلَى جَهْلٍ وَمَنْقَصَةٍ
حَيَاتُهُ عَدَمٌ فِي طُولِ مُدَّتِهِ

ويقول أيضا في موضع آخر :

وَمَنْ يُرِدْ غَيْرَ خَيْرِ الْعِلْمِ مَا اخْتَارَا
وَالْجَهْلُ بِالْجَهْلِ كَقَفَا بِالْجَهْلِ أَدْبَارَا
وَيَجْتَنِي مِنْ جَنَاهُ الْعَذْبِ أَطْمَارَا
وَالْجَهْلُ عِنْدَ إِسْمِهِ أَعْظَمُ بِهِ عَارَا¹

الْعِلْمُ عِلْمٌ كَفَى بِالْعِلْمِ مَكْرُمَةً
كَمْ جَاهِلٍ بِأُمُورِ الدِّينِ مُتَجَبِّطٍ
يُشْرِفُ الْعِلْمُ لِلْإِنْسَانِ مَنْزِلَةً
مَا لِلْفَتَى غَيْرَ نُورِ الْعِلْمِ مِنْ زَيْبٍ

ينجح نسق الأنا / الشاعر مرة أخرى في ما سبق من الأبيات من أن يعبر عما يريده بدقة بالغة وبلغة شعرية جميلة جدا , حيث يتحول هنا كل من أهل العلم وأهل الجهل إلى أداتين رمزيتين تحيلان إلى المركز/ السلطة, والهامش / المعارضة , وهما نسقان مضمران خلف العلامات اللغوية وتمثل السلطة هنا حاكم الدولة وإمامها الذي هو نسق الانا/ الشاعر , وإذا اخذنا بعين الاعتبار الاوضاع السياسية والاجتماعية التي تزامنت مع قول نسق الأنا/ الشاعر للقصيد , حيث كانت الأولى شبه هادئة ومستقرة والثانية مزدهرة وراقية , فإن المعارضة تمثل ولاية الدولة ورؤساء القبائل والعشائر الذين يتمتعون بالقوة والجاه ونفوذ الكلمة لدى عشائهم , لما يملكونه من مال وسلطان وأراض ومواش , ولما اتخذوه من خدم وعبيد وحاشية في قصورهم في ظل حكم نسق الأنا / الإمام وعدله , حيث خامرهم الكبر ودخلتهم الأنفة من أن تقام عليهم حدود الشرع الشريف , أو أن يتقيدوا بقانون من قوانين الدين أو قوانين الدولة . عندها شمر نسق الانا/ الإمام عن ساق الحزم , وكشف عن عضد العزم , وسارع إلى إطفاء لهب تلك المقاصد الشريرة والفتن العظيمة قبل ارتفاعها , واتخذ تدابير سلمية تنم عن دهاء وحكمة كبيرين , كان من بينها التهديد المغلف في الخطابات الادبية كالقصائد , والذي توجه به إلى هؤلاء المعارضين الذين سولت لهم أنفسهم التمرد والعصيان أو الاستقلال بالقبيلة او العشيرة لأنفسهم . وقد كفت هذه التدابير نسق الانا / الإمام معاناة القتال وقامت مقام تجنيد الجنود وسفك الدماء ويمكن تحديد العلاقة بين هذين النسقين كالتالي :



وتفودنا القراءة الثقافية المعمقة هذه المرة إلى نسق المضمرة الجديد مبثوث في ثنايا الابيات التالية , والتي تبدو للوهلة الأولى قد خصت للكلام عن فضل أهل العلم على الناس وضرورة إكرامهم :

" لِلَّهِ عُصَبَةٌ أَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّ هُمْ
فِي كُلِّ أُمَّةٍ مِنْ الْأَفَاقِ أَنْوَارًا
نَالُوا الْأَمَانِيَّ بِهِ طَرًّا وَبَانَ هُمْ
فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ عُيَابًا وَحُظَارًا
لِلْعِلْمِ فَضْلٌ عَلَى الْأَعْمَالِ قَاطِبَةً
كَانَ ذُوؤُهُ لِيَدِينِ اللَّهِ أَنْصَارًا
مِثْلَ دَمِ الشُّهَدَاءِ الْمُكْرَمِينَ هُمْ
فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ حُورُ الْعَيْنِ أَبْكَارًا
أَكْرَمُ بِهِمْ مِنْ ذَوِي الْفَضْلِ الْمُبِينِ هُمْ
سِرًّا كَسَا مُظْلَمَاتِ الْأَرْضِ أَنْوَارًا
وَالطُّفْ بِمَنْ أَنْتَ مِنْهُ الْعِلْمُ مُقْتَبِسٌ
وَكُنْ بِهِ مُشْفِقًا بَرًّا وَلَوْ جَارًا
لَوْ كَانَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ مُنْقَبِضًا
جَدَّدَ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْكَ أُبْرَارًا
فَاللُّطْفُ مُسْتَخْرَجٌ مِنْهُ فَوَائِدُهُ
ذُونَ اللَّالِئِ تَرَى لِيَمِّ تَبَارًا " ¹

تتمثل الدلالة الرمزية لأهل العلم الذين يطالب نسق الانا / الشاعر في قصيدته بمدحهم وإكرامهم في آباءه وأجداده/ نسق تاريخي من الحكماء والملوك الذين سبقوه في الحكم والذين حنكتهم التجارب وأبحروا في بحار الحكمة واغترفوا منها , فكان لهم فضل كبير على الناس / نسق المخاطب , من رغد في العيش واستقرار وأمن في ديارهم , لذلك فهو يرى من وجهة نظره أن من واجبهم رد الجميل ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والولاء للحاكم وأسرته . والخطاب هنا موجه أيضا إلى مواليه من الولاة ورؤساء القبائل بعد ان قام بإخضاعهم لسلطانه , حيث عليهم ان يقبلوا اوامره وينتهوا بنواهيه دون جدال . وهنا تبرز من جديد فطنة نسق الانا / الإمام ودهاؤه , فهو يضع مواليه في اختبار ليكشف من يكن له الولاء ومن يكن له التمرد والعصيان , وفعلا استطاع أن يخضعهم له خضوعا تاما , فقد صار كل واحد منهم يخاف من قرينه أكثر من الإمام في حد ذاته وأصبحوا يتنافسون في التقرب إلى الحاكم وإظهار الولاء له عندئذ أمن مكرهم ورد كيدهم في نحورهم وكفى أمرهم تماما.

2- القصيدة الثانية : قصيدة بكر بن حماد في هجاء عمران بن حطان الشاعر:

أ/ الأنساق المعلنة في قصيدة بكر بن حماد في هجاء عمران بن حطان الشاعر:

- لا مرد لقضاء الله وقدره.

- ترهيب ابن ملجم :

قُلْ لِابْنِ مُلْجِمٍ وَالْأَقْدَارُ غَالِيَةٌ
هدمت ويملك للإسلام أركاننا
- مناقب الإمام علي رضي الله عنه:

قَتَلْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَيَّ قَدِمٍ
وَأَعْلَمَ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ ثُمَّ بِمَا
صَهَرَ النَّبِيِّ وَمَوْلَاهُ وَنَاصِرُهُ
وَكَانَ مِنْهُ عَلَيٌّ رَغْمَ الْحُسُودِ لَهُ
وَكَانَ فِي الْحَرْبِ سَيْفًا صَارِمًا ذَكَرًا
- تأثر الشاعر بحادثة قتل الإمام علي رضي الله عنه.

- التعجب من قتل الإمام على والتعظيم بكمال قدرة الله تعالى إذ لا راد لما قدره :

ذَكَرْتُ فَاتِلَهُ وَالِدَمْعُ مُنْحَدِرٌ
فَقُلْتُ سُبْحَانَ رَبِّ النَّاسِ سُبْحَانَا
- الشاعر يصف ابن ملجم بالشيطان :

إِنِّي لِأَحْسِبُهُ مَا كَانَ مِنْ بَشَرٍ
يَحْشَى الْمَعَادَ وَلَكِنْ كَانَ شَيْطَانًا
- ازدراء قبيلة بن ملجم.

- ابن ملجم احسر الناس ميزانا يوم القيامة :

أَشَقَى مُرَادٍ إِذَا عَدَّتْ قَبَائِلُهَا
وَأَخْسَرُ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانًا
- تشبيه ابن ملجم بعافر الناقة التي أهلكت ثمود:

كِعَافِرِ النَّاقَةِ الْأَوْلَى الَّتِي جَلَبَتْ
عَلَى ثَمُودَ بِأَرْضِ الْحِجْرِ خُسْرَانًا
- المدح المبطن بالهجاء:

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا
بَلْ ضَرْبَةٌ مِنْ غَوِيٍّ أَوْرَثَتْهُ لَطْفِي
كَأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ قَصْدًا بِضَرْبَتِهِ
إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانًا
مُخَلِّدًا قَدْ أَتَى الرَّحْمَنَ غَضْبَانًا
إِلَّا لِيَصِلَنِي عَذَابَ الْخُلْدِ نِيرَانًا

ب/ الأنساق المضمرة في قصيدة بكر بن حماد في هجاء عمران بن حطان الشاعر :

لكل معلى مضمّر هذا هو حال اللغة , أي أن الثاني يوجد بالضرورة إذا وجد الأول وفي قصيدة بكر بن حماد في هجاء عمران بن حطان تتحرك الأنساق المضمرة في ثلاثية نسقية هي كالآتي :

1/نسق الأنا/الشاعر بكر بن حماد .

2/نسق الآخر وهو مركب / متحول ، وفيه: أ-نسق الآخر/ابن ملجم

ب-نسق الآخر/عمران بن حطان

القسم الأول من القصيدة :

" قُلْ لِابْنِ مُلْجَمٍ وَالْأَقْدَارُ عَالِيَةٌ
قَتَلْتَ أَفْضَلَ مِنْ يَمَشِي عَلَيَّ قَدَمٍ
هَدَمْتَ وَيْلَكَ لِلْإِسْلَامِ أَرْكَانًا
وَأَوَّلَ النَّاسِ إِسْلَامًا وَإِيمَانًا"¹

في هذا القسم من القصيدة نجد أن نسق الأنا / بكر بن حماد يعاتب نسق الآخر / ابن ملجم على قتله أفضل الناس (الإمام علي رضي الله عنه) . والعتاب هنا وظف له نسق الأنا أفعال (هدمت , قتلت) لكي يثبت أن عتابه في محله وأن النسق الآخر/ ابن ملجم يستحق العتاب على فعلته ولم يكتف نسق الأنا /الشاعر بتوظيف هذه الأفعال فقط لمعابطة النسق الآخر / ابن ملجم ,إنما استعمل أيضا حيلة جمالية تمثلت في الوصف فاستعماله للأفعال سابقة الذكر جاء ليدل على أن فعل النسق الآخر/ ابن ملجم وقع في الماضي هذا بالإضافة إلى استحضاره للإمام علي من خلال الكناية التي وظفها للدلالة على الإمام علي (هدمت للإسلام أركاناً) حيث جاءت لتعظم مكانة الإمام علي بن أبي طالب في الإسلام ولم تقف عند هذا الحد بل خرجت من إطار التعظيم لعلني إلى إطار اللوم والعتاب في حق ابن ملجم وتسير العلاقة بين هذين النسقين في اتجاه واحد كالتالي :

نسق الأنا ← عتاب ← نسق الآخر بن ملجم

القسم الثاني من القصيدة :

" وَأَعْلَمَ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ ثُمَّ بِمَا
صِهْرَ النَّبِيِّ وَمَوْلَاهُ وَنَاصِرُهُ
وَكَانَ مِنْهُ عَلَيٌّ رَعْمَ الْحُسُودِ لَهُ
وَكَانَ فِي الْحَرْبِ سَيْفًا صَارِمًا ذَكْرًا
سَنَّ الرَّسُولُ لَنَا شَرْعًا وَبَيَّنَّا
أَضْحَتْ مَنَاقِبُهُ نُورًا وَبُرْهَانًا
مَكَانَ هَارُونَ مِنْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ
لَيْنًا إِذَا لَقِيَ الْأَقْرَانَ أَقْرَانًا"²

في القسم الثاني من القصيدة يعتمد نسق الأنا / الشاعر إلى تغييب النسق الآخر/ ابن ملجم ليعوضه بشخصية ثقافية تتمثل في الإمام علي بن أبي طالب , وقد خص نسق الانا / الشاعر هذه الابيات بمناقبه فقط لإظهار مكانته الكبيرة .

1-محمد رمضان شاوشي : الدر الوقاد , ص:62.

2-المرجع نفسه , ص63.

وظف نسق الأنا / الشاعر الوصف لأنه مسرح الصفات اللامتناهية , وهو يتناسب مع الموصوف متناهي الأوصاف , وتمثل هذه الصفات في الجمل الثقافية الآتية :

-أعلم الناس بالقرآن ثم بما سن الرسول .

-صهر النبي ومولاه وناصره .

-أضحت مناقبه نورا وبرهانا .

-كان في الحرب سيفاً صارماً ذكراً .

-لينا إذا لقي الأقران اقرانا

تمثل هذه الجمل الثقافية وصفا يليق بالإمام علي كونه أكثر الناس علماً بالقرآن والسنة النبوية زد على ذلك صلة المصاهرة بينه وبين اعظم الخلق . والمعروف عن الإمام أنه صارم مع أعداء الإسلام لين طيب القلب مع الضعفاء . وتأتي الأوصاف هنا مطابقة تماماً للموصوف بعيدة عن المبالغة و المغالاة في الوصف .

استحضر نسق الانا / الشاعر شخصيتين ثقافيتين هما موسى وهارون ليظهر مكانة الإمام علي من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويمكن أن نستنتج من هذا الاستحضار أمران مهمان جدا ، الأول هو أن نسق الأنا / بكر بن حماد يعظم بجلاء كبير الإمام علي رضي الله عنه ، وبهذا فهو يثبت انتماءه إلى المذهب الشيعي ، والثاني يتمثل في أنه أراد بهذا الاستحضار لشخصيتي موسى وهارون أن يرفع مكانة الإمام علي إلى مكانة الرسل والأنبياء، والعلاقة بين نسق الأنا / والشخصية الثقافية (علي بن ابي طالب) هي كالاتي :

نسق الأنا ← تعظيم الشخصية الثقافية

القسم الثالث من القصيدة:

دَكَرْتُ قَاتِلَهُ وَالِدَمْعُ مُنْحَدِرٌ	فَقُلْتُ سُبْحَانَ رَبِّ النَّاسِ سُبْحَانَا
إِنِّي لِأَحْسِبُهُ مَا كَانَ مِنْ بَشَرٍ	يُحْسِنُ الْمَعَادَ وَلَكِنْ كَانَ شَيْطَانًا
أَشْفَى مُرَادٍ إِذَا عُدَّتْ قَبَائِلُهَا	وَأَحْسَرُ النَّاسَ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانًا
كَعَاقِرِ النَّاقَةِ الْأَوْلَى الَّتِي جَلَبَتْ	عَلَى ثُمُودَ بِأَرْضِ الْحِجْرِ حُسْرَانًا ¹

في هذا القسم من القصيدة يعود نسق الآخر / ابن ملجم للظهور من خلال الإحالة التي استخدمها الشاعر للدلالة عليه وجملتها الثقافية : (لأحسبه/الهاء) ونوعها بعدية ويبقى نسق الانا / الشاعر في إطار الوصف فيبدأ بوصف نفسه لكي يظهر شدة وقع الحادثة في نفسه ويتجلى ذلك في الجملة الثقافية التالية : (ذكرت قاتله والدمع منحدر) , ثم يعود ليصف نسق الآخر / ابن ملجم كما يظهر في الأبيات , وهنا ايضا إحالة إلى الشخصية الثقافية السابقة (الإمام علي) تظهرها الجملة الثقافية (قاتله/ الهاء) .

ينطلق نسق الأنا / الشاعر في وصف النسق الآخر / ابن ملجم من خلال تشبيهه بالشیطان لأنه لو كان من البشر لما قتل أعظم من في البشر بعد الرسول صلى الله عليه وسلم إضافة إلى أن النسق الآخر / ابن ملجم لم يخش هول وشدة يوم الحساب عندما أقدم على فعلته , ولم يتوقف الوصف عند لفظة الشيطان بل تعداها إلى وصفه بشقي قبيلته , والجملة الثقافية لهذا الوصف هي "أشقى مراد " , ومراد هي قبيلة قاتل علي بن أبي طالب والعلاقة بين النسقين في هذا القسم تتطور من علاقة عتاب لتصبح علاقة تجريم وتدنيس وتقبیح .
وفي البيت الأخير من هذا القسم نجد أن نسق الأنا / الشاعر التجأ إلى حيلة جمالية هي التشبيه , وجملته الثقافية هي (كعافر الناقة الاولى , وقد ذكر آل ثمود حتى يبين عظمة الإثم الذي يحمله ابن ملجم في رقبته .

نسق الأنا / بكر بن حماد تجريم وتدنيس وتقبیح ← نسق الآخر / ابن ملجم

القسم الرابع من القصيدة :

"قَدْ كَانَ يُخْبِرُهُمْ أَنْ سَوْفَ يَخْضِبُهَا
فَلَا عَقَا اللَّهُ عَنْهُ مَا حَمَلَهُ
لِقَوْلِهِ فِي شَقِيٍّ ظَلَّ بَحْشَرَمًا
قَبْلَ الْمَيِّتَةِ أَرْمَانًا فَأَرْمَانًا
وَلَا سَقَمَى قَبْرَ عِمْرَانَ بْنِ حَطَانَ
وَنَالَ مَا نَالَهُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا"¹

في هذه الأبيات من القسم الرابع نجد أن نسق الآخر يتداول عليه كل من ابن ملجم وعمران بن حطان , فنجد في عجز البيت الثاني إحالة على ابن ملجم باللفظ الصريح (ذكر اسمه) , في حين نجد في البيت الثالث لفظا يحيلنا إلى ابن ملجم هو (شقي ظل مجشوما) , لذلك يمكن القول أن نسق الآخر في تحول وتغيير بين قاتل الإمام ومادح قاتل الإمام . وقد وظف نسق الأنا / الشاعر غرض الهجاء ليعارض به عمران بن حطان الذي مدح بن ملجم بعد قتله الإمام علي ويظهر ذلك في الابيات التالية :

"يَا ضَرْبَةَ مَنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا
بَلْ ضَرْبَةٌ مِنْ غَوِيٍّ أَوْرَثَتْهُ لَطِيٍّ
كَأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ قَصْدًا بِضَرْبَتِهِ
إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانًا
مُحَلِّدًا قَدْ أَتَى الرَّحْمَنَ غَضْبَانًا
إِلَّا لِيَصْلَى عَدَابَ الْحُلْدِ نِيرَانًا"²

وهنا تكمن عبقرية نسق الأنا / بكر بن حماد وتمكنه من صنعة الشعر ، حيث أتى بمطلع قصيدة نسق الآخر / عمران بن حطان في مدح ابن ملجم ، والتي يقول فيها :

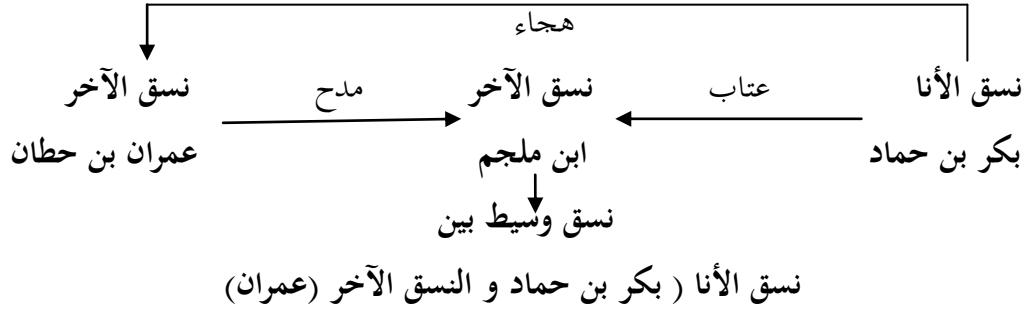
يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

ثم قام بصرف المعنى من المدح إلى الهجاء ، وذلك عن طريق إضافة أبيات أخرى إلى البيت السابق ، وهذا التوظيف لبيت نسق الآخر / عمران بن حطان هو معارضة وتناص في الوقت نفسه .

1-المرجع السابق,ص66.

2-المرجع نفسه,ص66.

معارضة لأن نسق الأنا/بكر بن حماد نسج قصيدته على نفس البحر ، واستعمل نفس الروي الذي استعمله نسق الآخر / عمران بن حطان ، وتناسق لأنه أتى بيت من تلك القصيدة كما هو ووظفه في قصيدته ، والترسيمة التالية تلخص بشكل نهائي حركة الأنساق المضمرة كلها في القصيدة :



ملحق:

- خطبة الجمعة
- خطبة التحكيم
- رسالة الإمام أفلح الى المسلمين في حق نفاث
- رسالة الإمام أفلح الى صاحب الأندلس
- قصيدة الإمام أفلح في مدح العلم
- قصيدة بكر بن حماد في هجاء عمران بن حطان

خطبة الجمعة : " الحمد لله الذي ابتداء الخلق بنعمائه وتغمدهم جميعا بحسن بلائه فوفق كل امرئ منهم في

صبائه الى ما يحتاج الله من غذائه وسخر له من يكلؤه الى وقت استغنائه ثم احتج على من بلغ منهم بالآئه وانذرهم بأنبيائه الذي لم يزل بصفاته وأسمائه لا يشتمل عليه زمان ولا يحيط به مكان خلق الأماكن والأزمان ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ايتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين فقدرها أحسن تقدير واخترعها من غير نظير لم يرفعها بعمد تدرك بالمعينة ولم يستعن عليها بأحد استكبارا عن الشركة والمعاونة وزينها للناظرين وجعل فيها رجوما للشياطين فتبارك الله أحسن الخالقين تعالى أن تطلق لافي وصفه آراء المتكلفين وأن تحكم في دينه أهواء المقلدين بل جعل القرآن إماما للمتقين وهدى للمؤمنين وملحاً للمتنازعين وحكما بين المتخالفين ودعا أوليائه المؤمنين الى اتباع تنزيله وأمرهم عند التنازع في تأويله بالرجوع الى قول رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك نطق محكم كتابه إذ يقول جل ثناؤه (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم , فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) ونعبد نبيه صلى الله عليه وسلم عند رجوع الأمة في تأويل ما أشكل عليها إليه بأن يبين لهم معنى ما أنزل عليه فقال (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه) ولم يكلمهم تعالى الى القول في دينه بأراءهم ول أذن لهم في مسامحة أهوائهم فتكون الأحكام مبتدعة والآراء مخترعة والحكام متبعة بل أحصى كل شئ عددا وضرب لكل شئ أمدا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة أحمدده حمدا يبلغ رضاه ويحتسب آلاءه وأستعينه على ما استحفظنا من ودائعه وحفظ ما استودعنا من شرائعه ونومن به إيمان من أخلص عبادته واستشعر طاعته ونتوكل عليه توكل من انقطع اليه ثقة به ونرغب فيما لديه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة معترف له بالربوبية والتوحيد مقر له بالعظمة والتمجيد خائف من انجاز ما قدم له من الوعيد وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اصطفاه لنفسه وليا وارتضاه لخلقه نبيا فوجده على حفظ ما ضمنه قويا وبأداء ما استودعه مليا وبالذعاء الى ربه حفيا ومتوقفا عند ورود المشكلات ومشمرأ عند انجلاء الشبهات لا يرعى لمن عدله ولا يلوي من خذله ولا يطيع غير من أرسله يصدع بالأمر ويطفى نار الكفر لم تأخذه في الله لومة لائم ولم ينحرف عنه لزعم زاعم ارسله على حين فترة من الرسل ودروس من السبل وتضامن من أهل الملل والناس فريقان عالم مستكبر وجاهل مستظهر فالعالم الذي قد سبق له الخذلان ينزغه الشيطان ويجمع به الطغيان فيستنكف عن الدخول في الإيمان والجاهل متسكع في غيه متحير في أمره منتظر ما يكون من غيره فلم يزالا يعكفان على الأزام ويعتصمان بالأصنام والرسول عليه السلام يرعاهم رعي السوا ويدعوهم الى دار السلام فلم يزل عليه السلام يعظم بالآيات ويقرعههم بالمعجزات حتى استقام من أحب الله توفيقه من سائر أهل الديانات فبلغ المحكمات وأوضح المشكلات وزجر عن القول في الدين بالشهوات فحتم الله به النبيين وأكمل به الدين وأوجب به الحجة على العالمين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين واخوانه المرسلين وأوليائه من المؤمنين "1.

1-الباروني : الأزهار الرياضية , ص ص: 135 , 136

خطبة التحكيم :

" الحمد لله الذي نستعينه ونستغفره ونومن به ونستهديه ونستنصره ونبرأ من الحول والقوة اليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له ونشهد ان لا اله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون الله ربنا ومحمد نبينا والإسلام ديننا والكعبة قبلتنا والقرآن إمامنا رضينا بحلاله حلالا وبجرامه حراما لا نبتغي به بدلا ولا عنه حولا ولا نشترى به ثمنا لا حكم إلا الله اتبعا لكلام الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وخلافا لأهل البدع لا حكم إلا الله خلعا ونبذا وفراقا لجميع أعداء الله لا حكم إلا الله ولو كره الجبارون الحاكمون بغير ما أنزل الله وأشهد أن من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفساقون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما صليت ورحمت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم صل على العصبتين المباركتين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان اللهم وارحم الشراة في سبيلك أهل الفضل في الإسلام اللهم ارض وصل على الخليفتين المباركتين بعد نبيك اللهم وأصلح الأمير يوسف بن محمد أصلحه وأصلح على يديه ووفقه للخير وأعنه عليه وافتح له من عندك أعوانا وأنصارا على طاعتك اللهم اعز به الإسلام وأهله وأذل به الكفر وأهله وانصره نصرا عزيزا وافتح له فتحا يسيرا وهب له من لدنك سلطانا نصيرا كفى بك وليا وكفى بك نصيرا اللهم اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ربنا ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفؤا أحد) "1.

1-المصدر السابق , ص: 136

رسالة الإمام أفلح إلى المسلمين في حق نفاث :

" بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد و على آله وصحبه وسلم
من أفلح بن عبد الوعاب الى (بياض في الأصل) أما بعد ألبسنا الله وكفانا وإياك مهمات الأمور
برحمته كتبت اليك وأنا ومن قبلي من خاصتي والرعية عامة على أحسن حال جرت به عادة الله وتواترت به نعماءه
فله الحمد كثيرا والشكر دائما أتاني كتابك بالذي أحب علمه من سلامتكم وحسن حالكم وتواتر نعم الله عليكم
وإحسانه اليك والى من قبلك من الرعية وأهل الطاعة فسرني بذلك وحمدت الله كثيرا عليه وسألته تمام النعمة علينا
وعليكم برحمته إنه مجيب ودكرتم أمر نفاث وأكثرتم فيه الكتب ووصفتكم عنه اشياء لا يشك أحد منكم في انها
بدعة وخلاف لما مضى عليه سلفكم فإن يك كما وصفت فما ينبغي لأحد منكم أن يخالجه الشك في أن ذلك
ضلال لأن الهدي في أيديكم والحق ما شرعه لكم سلفكم الصالح والأئمة المرضيون رضي الله عنهم فمن أتى من
بعدهم بما يخالف شريعتهم ويأخذ في غير طريقهم فهو ذو بدعة وكل بدعة ضلال وكل ضلال كفر وكل كفر في
النار وأنتم على يقين من سنة أسلافكم وقتلتم في كتابكم (هو غلام حدث غر لا تجربة له في الأمور فنحاف إن
جشمناه السفر والشخوص أن تحمله اللجاجة مع اعجاب الرأي والتيه بالنفس على التماذي فيما يهلك بي نفسه
) فما وجه ما سألتكم من ذلك وهل أنتم على شك من دينكم أو ريبة في أمركم السنة في أيديكم وأسلافكم
الماضون كانوا على مثل حالكم بل كانت لهم عمال في حال كتمانهم وكبار يقومون بكل أمر من الحقوق وغيرها
في حال الكتمان وليس أحد منهم يقول ما حكيتموه عن هذا الغلام فلما حدث منه ما ذكرتموه كان أمره واضحا
وهو أنه أخذ بخلاف ما مضى عليه سلفه وأحدث مقالة لم يقلها عنهم غيره وأنتم على يقين من امركم فما
أحوجكم إلى مجيئه واشخاصه وان كنتم تريدون ان تعلموا ما نحن عليه فنحن على ما مضى عليه سلفنا ومقرون لما
حكيتموه عنه إن قاله فقوموا عليه فإن رجع عن مقالته ونزع عن بدعته فمقبول منه رجوعه ومرحبا بالتائب حيث
كان ومن كان وأين كان وان أبي إلا التماذي فأنتم تعلمون السيرة فمن ابتدع في دين الله وشق عصا الإسلام
وقال بخلاف الحق فإنه محقوق بأن يهجر ويقصى ويبعد ونفاث مثل واحد من الناس لا أحصه بشيء دون غيره
والسيرة فيه وفي غيره واحدة والسنة قائمة وحكم الله لا يزول ولا يتبدل فأنا نشهد الله على من كان من أهل هذه
الدعوة وعمالنا وقوادنا وأهل العلم من اصحابنا ومن التف اليهم من رعبتنا ان لا يسمع أحدا يبتدع في دين الله أو
يسلك طريقة غير طريقة أصحابنا الماضين من أسلافنا إلا ويكون قد غير ذلك وأطفأه واستتاب من أظهره فإن لم
يتب خلعه وهذه مني عزيمة واجبة وأمر لازم وفرض محرم أن يتعدى وان يقال بخلافه فمن قرأ عليه كتابي هذا
فليسمع وليتنبه الى ما أمرت به فإن من انتهى اليه كتابي هذا في حرج ان قصر عما أمرت به ."¹

1-المصدر السابق , ص: 97

"ومن عاب أحدا من عمالنا بخصلة من الخصال أو أنكروا عليه شيئا فليرفع ذلك اليانا فنكون نحن الذين يغيرونه إن كان مما يغير وليس للرعية الوثوب على السلطان حتى ترفع ذلك اليانا لأن الوثوب على السلطان والاقتفاء للخصال التي نحن أولى بالنظر فيها خطأ من الرعية وضرب من ضروب السائبة لأن هذا وضربه مما لا يعلم باطنه إلا بالبحث وقد يظن الظان في المر فيراه خطأ وهو عدل من حيث لا يعلم ولم يظلم من دعاكم الى نفسه وكلفكم بأن ترفعوا أموركم إليه لأن في ذلك شفقة منا عليكم أن تهلكوا من حيث لا تعلمون والله ولي عصمتنا وتوفيقنا وإياكم وهو المستعان لا شريك له وقد كتبت إليك جواب مسائلك فعليك بتقوى الله والعمل بطاعته وحسن النظر لنفسك لأنها ان سلمت لك فقد نجوت وفزت فوزا عظيما ولا تدع الكتابة الي بحالك وسلامتك فإنك تسرني بذلك والسلام".¹

رسالة الإمام أفلح إلى صاحب الأندلس :

" باسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم من أفلح بن عبد الوهاب إلى البشير بن محمد سلام عليك وإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على سيدنا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ... أما بعد ألبسك الله عافيته فغني أذكرك عظمة لا تنساها وفكر في صغير خلقتك وفي عظيم ما خلقه الله وما جعله من النكال والعذاب لابن آدم وما عافى به من فاز برحمته من عظيم خلقه من السموات والأرض والجبال والشجر وأذكرك ما أعدده الله لابن آدم من الكرامة التي تكلم اللسان عن وصفها فلو لم تكن كرامة نطلب إلا النجاة من جهنم لكان في ذلك ما ينبغي للعبيد ان ينصفوا من أنفسهم ويفارقوا جميع الملذات إلا أني اقول لك أن الدواء في هذا هو الاستغائة إلى الله في العصمة فمن أراد به الاحسان عصمه اي حفظه من الإصرار على المعاصي ووقفه على التوبة وجعله من أوليائه الذين قال لإبليس فيهم أن عبادي ليس لك عليهم سلطان واطلب وارغب إليه في العصمة والتوفيق وأن يحول بين وبين عدوك واعلم انه لاشيء لمن عقل خير ممن وعظه ومن موعظة يأخذها فاقبل واجتهد في القبول إلى أن قال: وأما ما ذكرته من ان أجعل لك سبيلا وأطلق يدك وان الحاضر يرى ما لا يراه الغائب فلعمري انه كذلك ولكن ليس في هذا وإنما هي اسهم جعلها الله وأوقفها وهي وسخ أموال الناس وليس لنا فيها قضاء ولا زيادة ولا نقصان ولا أمر ولا نهي إلا على قدر الاجتهاد فاتق واجتهد جهدك في توفير الحقوق وتوجيهها إلينا و على هذا مضى من كان قبلك"²

1-المصدر السابق , ص: 97

2-المصدر نفسه , ص: 8

قصيدة الإمام أفلح في مدح العلم :

وَأَلِيْلُهُمْ بِشُمُوسِ الْعِلْمِ قَدْ نَارًا
يُرِيكَ أَشْخَاصَهُمْ رَوْحًا وَإِبْكَارًا
إِنْ كَانَ فِي مَنْهَجِ الْأَبْرَارِ مَا مَارَا
مَا مَاتَ عَبْدٌ فَصَى مِنْ ذَلِكَ أَوْطَارَا
وَلَا يُبَايِي أَحْيَرًا نَالَ أَمَّ عَارَا
كَمَيِّتٍ قَدْ تَوَى فِي الرَّمْسِ إِعْصَارَا
فِي كُلِّ أَفْقٍ مِنَ الْأَفَاقِ أَنْوَارَا
فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ عُيَابًا وَحُظَارَا
وَمَنْ يُرِدْ غَيْرَ خَيْرِ الْعِلْمِ مَا اخْتَارَا
وَالْجَهْلُ جَهْلٌ كَفَا بِالْجَهْلِ أَدْبَارَا
لِلْمَرْءِ إِذْ يَكْتَسِي لِلْعِلْمِ أَطْمَارَا
وَالْجَهْلُ عِنْدَ إِسْمِهِ أَعْظَمُ بِهِ عَارَا
وَيَجْتَنِي مِنْ جَنَاهُ الْعَذْبِ أَطْمَارَا
وَيَرْفَعُ الْعِلْمُ لِلْإِنْسَانِ أَقْدَارَا
مَحْصَ لَهُ كُلُّ عَقْلٍ دُونَهُ حَارَا
فِي النَّاسِ يَدْرِي لِدَاكَ الدَّرِّ مَقْدَارَا
كَانَ دَوُوهُ لِيَدِينِ اللَّهِ أَنْصَارَا
عَنِ النَّبِيِّ رَوَيْنَا فِيهِ أَخْبَارَا
بِرَغْبَةٍ تُورِدُ الصَّمَانَ تِيَارَا
فِي الْعِلْمِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ أَخْطَارَا
وَمُنْفِقٍ مِنْ كُنُوزِ التَّيْرِ فِنْطَارَا
صَامَ النَّهَارَ وَأَخْيَا اللَّيْلَ أَسْهَارَا
دَوَامِهِمْ فِيهِ أَصَالًا وَأَسْحَارَا
تِيَابِهِمْ وَعَلَى الْقُرْطَاسِ أَسْطَارَا
فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ حُورُ الْعَيْنِ أَبْكَارَا¹

" الْعِلْمُ أَبْقَى لِأَهْلِ الْعِلْمِ آثَارَا
يَجِي بِهِ ذِكْرُهُمْ طُولَ الرَّمَانِ وَقَدْ
حَيٌّ وَإِنْ مَاتَ دُوَ عِلْمٍ وَدُوَ وَرِعِ
أَوْ أَنَّهَا عَبَّرَتْ أَشْخَاصَهُمْ وَمَضُوا
وَدُوَ حَيَاةٍ عَلَى جَهْلٍ وَمَنْقَصَةٍ
حَيَاتُهُ عَدَمٌ فِي طُولِ مُدَّتِهِ
لِلَّهِ عُصْبَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّ لَهُمْ
نَالُوا الْأَمَانِي بِهِ طَرًا وَبَانَ لَهُمْ
الْعِلْمُ عِلْمٌ كَفَى بِالْعِلْمِ مَكْرَمَةً
كَمْ جَاهِلٍ بِأُمُورِ الدِّينِ مُتَخَيِّطِ
الْعِلْمُ عِنْدَ إِسْمِهِ أَكْرَمُ بِهِ شَرْفَا
مَا لِلْفَقِي غَيْرَ نُورِ الْعِلْمِ مِنْ رُتَبِ
يُشْرِفُ الْعِلْمُ لِلْإِنْسَانِ مَنْزِلَةً
الْعِلْمُ فَخْرٌ عَلَى عَنِ كُلِّ مَرْتَبَةٍ
الْعِلْمُ دُرٌّ لَهُ فَضْلٌ وَلَا أَحَدٌ
فَسَلَّ خَبِيرًا وَجِبَّ عَوْرَ الْعُقُولِ وَمَنْ
لِلْعِلْمِ فَضْلٌ عَلَى الْأَعْمَالِ قَاطِبَةً
وَفَضْلُهُ الْجَمُّ قَدْ نَصَّ الْحَدِيثُ بِهِ
يَقُولُ طَالِبُ عِلْمٍ بَاتَ لَيْلَتُهُ
وَمَنْ نَبِتَ فِي الدُّجَى بِالْجِدِّ مُبْتَدِلًا
مَنْ عَابِدٍ سَنَةِ اللَّهِ مُجْتَهِدِ
مَا نَالَ كَفَضْلِ الْعِلْمِ قَطُّ وَلَوْ
وَقَالَ إِنَّ مِدَادَ الطَّالِبِينَ عَلَى
إِنَّ أَنْتَ النُّصْحُ مِنْهُ حِينَ يُبْدَى عَلَى
مِثْلِ دَمِ الشُّهَدَاءِ الْمُكْرَمِينَ لَهُمْ

"فَضْلُ دَوِي الْعِلْمِ حَتْمًا لَا يُمَاتِلُهُ
وَقَالَ هُمْ يَرِثُونَ الْأَنْبِيَاءَ كَذًا
فَهُمْ وُلَاةٌ لِرَبِّ الْعَرْشِ لَا عَدُمُوا
أَكْرَمَ بِهِمْ مِنْ دَوِي الْفَضْلِ الْمُبِينِ لَهُمْ
مَا ارْتَابَ مِنْ فَضْلِهِمْ أَوْلُو الْعُقُولِ وَهُمْ
الْكَاشِفِينَ مَعَانِي كُلِّ مُشْكَلَةٍ
النَّادِينَ إِلَى دِينِ الْإِلَهِ بِهِ
أَشَدُّ إِلَى الْعِلْمِ رَحَلًا فَوْقَ رَاحِلَةٍ
وَاعْصِرِ الْكُرَى وَاصْطَبِرْ دَهْرًا عَلَى أَرْقِ
وَاصْبِرْ عَلَى دَلَجِ الْإِغْسَاقِ مُعْتَسِفًا
وَابْدُلْ مِنَ الْجُهْدِ مَا يَشْفِي الْفُؤَادَ وَجِبْ
حَسْبِي تَرْوَرِ رَجُلًا فِي رِحَالِهِمْ
وَأَصْبِرْ لَزِيَارَتِهِمْ طُولَ الزَّمَانِ بَجْدٍ
وَالطُّفْ بِمَنْ أَنْتَ مِنْهُ الْعِلْمُ مُقْتَبَسٌ
لَوْ كَانَ فَطَا غَلِيظَ الْقَلْبِ مُنْقَبِضًا
فَاللُّطْفُ مُسْتَخْرِجٌ مِنْهُ فَوَائِدُهُ
وَاجْعَلْ بِقَلْبِكَ بَرَّ الْوَالِدِينَ لَهُ
فَصَدْرُ ذِي الْعِلْمِ إِنْ رَاجَعْتَهُ حَرْجًا
وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ أَنْ تَهْدِرَ شَقَاشِقَهُ
وَارْصُدْ حَوَاطِرَ سَاعَاتِ النَّشَاطِ لَهُ
وَخَازِرِ الرِّبْعِ وَأَحْسِنِ فِي السُّؤَالِ لَهُ
وَأَحْسِنِ الْكَشْفَ عَنِ عِلْمِ تَطَالِبِهِ
وَدُمَّ عَلَيْهِ وَلَا تَسْأَمْ لَهُ طَلَبًا
وَلَا تَكُنْ جَامِعًا لِلصُّحُفِ تَخْرُنُهَا

فَضْلٌ فَأَكْرَمُ بِأَهْلِ الْعِلْمِ أَخْيَارًا
مَرَاتِبُ الْعِلْمِ لَا يَرْتَابُ مِنْ مَارًا
فِيهِمْ رَوَيْنَا أَحَادِيثَ وَأَخْبَارًا
سِرًّا كَسَا مُظْلَمَاتِ الْأَرْضِ أَنْوَارًا
إِزَتْ التُّبُوَّةَ فِي أَيْدِيهِمْ صَارًا
مِنَ الْعُلُومِ وَمَا فِيهِ النَّهَى حَارًا
وَالْمُظْهِرِينَ خَفِيِّ الْعَمُصِ إِظْهَارًا
وَكُنْ إِلَى طَلَبِ التَّعْلِيمِ سَيَّارًا
وَصِلْ إِلَى الْعِلْمِ فِي الْأَفَاقِ أَسْفَارًا
وَاقْطَعْ مِنَ الْأَرْضِ غَيْطَانًا وَأَقْفَارًا
مَا هَامَهُ الْأَرْضِ أَخْرَانًا وَأَقْطَارًا
عَانَ لَهُمْ وَاقْتَبَسَ مِنْ نَارِهِمْ نَارًا
فَضْلًا فَأَكْرَمُ بِأَهْلِ الْعِلْمِ زُورًا
وَكُنْ بِهِ مُشْفَقًا بَرًّا وَلَوْ جَارًا
جَدِّدْ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْكَ أَتْرَارًا
دُونَ اللَّالِي تَرَى لِلْيَمِّ تَيَّارًا
وَكُنْ لِمَسْئَلَتِهِ إِنْ صَالَ صَبَّارًا
رَاعِ الرِّضَا مِنْهُ وَاحْمَدْ حِينَمَا فَارًا
فَقَدْ بَرَى اللَّهُ هَذَا الْخَلْقَ أَطْوَارًا
وَاسْتَمْطِرَنَّ سَحَابًا مِنْهُ مِدْرَارًا
إِذَا أَرَدْتَ لِيَعُضَ الْقَوْلَ تَكَرَّرًا
وَأَنْصِتْ بِحِسِّكَ أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا
وَالزَّمْ دِرَاسَتَهُ سِرًّا وَإِجْهَارًا
تَمَلُّ التَّوَابِيَّتِ بِالْأَسْفَارِ أَوْفَارًا" 1

" وَأَنْتَ عَنْ طَلَبِ التَّعْلِيمِ فِي شُغْلٍ
نِعَمَ الْفَضِيلَةِ نِعَمَ الذُّخْرِ تُورِثُهُ
وَالْعِلْمُ خَيْرٌ كُنُوزِ الْمَرْءِ وَهُوَ غِيٌّ
وَإِنْ هَمَمْتَ بِخَيْرِ النَّاسِ تَأَلَّفَهُمْ
لَقَدْ وَجَدْتُ إِصْطِحَابَ الْأَكْرَمِينَ وَقَدْ
فَاطَلَبْتُ مِنَ الْعِلْمِ مَا تَقْضِيهِ الْفُرُوضُ بِهِ
وَطَهَّرْتُ النَّفْسَ مِنْ أَوْسَاحِ شَهْوَاهَا
وَاطْلُبْهُ مَا عِشْتَ فِي الدُّنْيَا وَمُدَّتْهَا
وَاجْعَلْهُ ذُخْرًا لِيَوْمٍ لَمْ يُغَدِ نَدَمٌ
وَاجْعَلْهُ لِلَّهِ لَا تَجْعَلْهُ مَفْخَرَةً
وَصُنْهُ عَنْ كُلِّ جَبَّارٍ تَفِيقُ عَمَلًا
تَعَسَا لِكُلِّ امْرِيٍّ غَيْرِ مُقْتَصِدٍ
لَقَدْ عَدَا طَوْرُهُ فِيمَا يُخَوِّضُ بِهِ
يَصْطَاذُ بِالْعِلْمِ أَمْوَالَ الْعِبَادِ كَمَا
يُلْقِي الْحَيَالَاتِ رَاجٍ لِلْقَيْنِصِ كَمَا
لَوْ كَانَ فِي فَلَوَاتِ الْأَرْضِ مُعْتَرِضًا
وَلَوْ تَرَى الْأَرْضَ مِنْ أَطْرَافِهَا دَهَبًا
فَلَا تُخَادِعْ بِمَا تُبْدِيهِ خَالِقِنَا
وَاجْهَرْ وَسِرِّ التَّقَى وَادْرِفْ دُمُوعَ دِمٍ
مَوْلَاكَ يَعْلَمُ مَا تُخْفِي الصُّدُورُ فَلَا
أَنْ حَدَّثَ عَنْ رَبِّكَ الْبَاقِي الرَّؤْفِ فَلَا
وَلَا تُدَاهِنِ إِذَا مَا قُلْتَ مَسْأَلَةً
وَلَا تُدَاهِنِ بِفَتْيَاكَ الْأَنْامَ لَقَدْ
وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ حِطًّا مِنْ مَذَاكِرَةٍ
وَمِلْ إِلَى مَجْلِسِ تَجَلُّوْهُمُومَ بِهِ

كَالْعَبْرِ يَحْمِلُ بَيْنَ الْعَبْرِ أَسْفَارًا
فَكُلُّ ذُخْرٍ وَكَنْزٍ دُونَهُ بَارًا
لِنَفْسِكَ الْيَوْمَ إِنْ أَحْسَنْتَ آثَارًا
تَلَقَّ أَفْاضِلَهُمْ مَثْنَى وَأَوْتَارًا
أَلِفْتُ بِالْعِلْمِ أَبْرَارًا وَأَخْيَارًا
وَأَرْدَفَ بِهِ عَمَلًا فِي الْقَلْبِ نَزَارًا
وَأَعْمَلَ بِعِلْمِكَ مُضْطَرًّا وَمُخْتَارًا
وَكُنْ بِعِزِّكَ وَالتَّرغِيبِ مِعْوَارًا
لِمَوْقِفِ الْعَرَضِ أَنْ لَا تُورِدَ النَّارَ
بَيْنَ الْأَنْامِ لِذَلِيلِ الْكَبِيرِ جَرَّارًا
وَلَا تُرَائِي بِهِ بَدْوًا وَأَحْضَارًا
كَأَنْتَ بِطِينَتِهِ شُوبًا وَأَكْدَارًا
وَقَدْ تَقَلَّدَ آثَامًا وَأَوْزَارًا
سَاءَتْ خَلَائِقُهُ وَاخْتَارَتْ الْعَارَا
يَصْطَاذُ مُقْتَنِصٌ بِالْبَارِ أَطْيَارًا
ذَرَهُ وَلَا تَعْتَنِمْ مِنْ ذَلِكَ دِينَارًا
وَلِلدَّرَاهِمِ فِي الْأَسْوَاقِ طَرَارًا
وَاحْذَرْ وَكُنْ عَنِ فَيْحِ الْفِعْلِ فَرَارًا
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُخْفِيهِ إِضْمَارًا
تُفَعِّنُ بِفِعْلِكَ مَهْمًا كُنْتَ عَدَارًا
يَكُنْ لَكَ الْحِلْمُ مِنْ مَوْلَاكَ عَرَارًا
وَكُنْ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ مُتَارًا
أَضْرَرْتَ بِالدِّينِ إِنْ دَاهَنْتَ إِضْرَارًا
وَلَا تَكُنْ لِأَخِيكَ الْبِرِّ هَجَارًا
مَعَ الصِّدِّيقِ إِذَا اسْتَوْحَشْتَ إِسْمَارًا¹

" وَأَنْشِطْ لِعِلْمِكَ إِذْ لَا بُدَّ مِنْ مَلِكٍ
 وَحَائِبِ التَّدَلِّ لَا تَتْرُكْ سَبَّاحَتَهُ
 وَعَاشِرِ النَّاسِ وَأَنْظُرْ مَنْ تَعَاشَرْتَهُمْ
 صَاحِبِ أَخَا الصِّدْقِ مَعَ عِلْمِ تُسْرٍ بِهِ
 قَرَّبَ مُكْتَبِرِ صَحْبٍ لَا يَزَالُ يَرَى
 وَرَبِّ صُحْبَةٍ مَنْ يَهْوَى الْفَتَى جَلَبَتْ
 مَا فِي الرِّمَانِ بَقِي حِلِّ تُسْرٍ بِهِ
 وَكُنْ بِرَبِّكَ لَا بِالنَّاسِ مُعْتَصِمًا
 وَثِقْ بِهِ وَاسْتَكِنْ فِيمَا دَعَاكَ لَهُ
 خَيْرَ الْعِبَادِ عِبَادُ اللَّهِ أَنْ لَهُ
 تَرَى لَهُ عِنْدَ خَوْفِ الْعَبْدِ مِنْ ضَرَرٍ
 سُبْحَانَهُ صَمَدٌ لَا شَيْءَ يُشْبِهُهُ
 أَنَا الْفَقِيرُ إِلَيْهِ أَرْجُو رَحْمَتَهُ

إِذَا عَرَا قَلْبَكَ التَّهَمَامُ وَأَنْضَارًا
 وَلَا تَكُنْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ فَرَارًا
 فَإِنَّ فِي النَّاسِ صَدَاقًا وَمَكَّارًا
 قَصْدًا وَلَا تُكْثِرَنَّ الصَّحْبَ إِكْثَارًا
 مَدَاقَ وَدِّ وَبِالْأَسْنَانِ كَثَّارًا
 لِنَفْسِهِ قُرْنَاءَ لَهُ قَدْ صَارَ غَدَارًا
 إِلَّا الْقَلِيلُ وَذَلِكَ الْقَلْبُ قَدْ بَارَ
 فَالنَّاسُ كَانُوا كَلْمَعَ الْإِلِّ غَرَارًا
 كَفَى بِرَبِّكَ رَزَاقًا وَغَفَّارًا
 طَرَفًا إِلَى حَشِيَّةِ الرَّحْمَنِ نَظَارًا
 لُطْفًا خَفِيًّا يَرُدُّ الْعُسْرَ إِيسَارًا
 فَرْدٌ قَدِيمٌ مَدِيدُ الْمُلْكِ فَهَّارًا
 أَقْرَرْتُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ إِفْرَارًا"¹

قصيدة بكر بن حماد في هجاء عمران بن حطان :

" قُلْ لَابْنِ مُلْجِمٍ وَالْأَقْدَارُ غَالِيَةٌ
 قَتَلْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ
 وَأَعْلَمَ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ ثُمَّ بِمَا
 صَهَرَ النَّبِيِّ وَمَوْلَاهُ وَنَاصِرُهُ
 وَكَانَ مِنْهُ عَلَى رَعْمِ الْحُسُودِ لَهُ
 وَكَانَ فِي الْحَرْبِ سَيْفًا صَارِمًا دَكْرًا
 دَكْرَتْ قَاتِلَهُ وَالِدَمْعُ مُنْحَدِرٌ
 إِنِّي لِأَحْسِبُهُ مَا كَانَ مِنْ بَشَرٍ
 أَشَقَى مُرَادٍ إِذَا عَدَّتْ قَبَائِلُهَا
 كَعَاقِرِ النَّاقَةِ الْأُولَى الَّتِي جَلَبَتْ
 قَدْ كَانَ يُخْبِرُهُمْ أَنْ سَوْفَ يَخْضِبُهَا
 فَلَا عَقَا اللَّهُ عَنْهُ مَا تَحْمَلُهُ
 لِقَوْلِهِ فِي شَقِيٍّ ظَلَّ مُحْشَرَمًا
 يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا
 بَلْ ضَرْبَةٌ مِنْ غَوِيٍّ أَوْرَثَتْهُ لَظَنِي
 كَأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ قَصْدًا بِضَرْبَتِهِ

هَدَمْتَ وَبِئِكَ لِلْإِسْلَامِ أَرْكَانًا
 وَأَوَّلَ النَّاسِ إِسْلَامًا وَإِيمَانًا
 سَنَّ الرَّسُولُ لَنَا شَرَعًا وَتَبْيَانًا
 أَضَحَّتْ مَنَاقِبُهُ نُورًا وَبُرْهَانًا
 مَكَانَ هَازُونَ مِنْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ
 لَيْنًا إِذَا لَقِيَ الْأَقْرَانَ أَقْرَانًا
 فَعُلْتُ سُبْحَانَ رَبِّ النَّاسِ سُبْحَانَا
 يَخْشَى الْمَعَادَ وَلَكِنْ كَانَ شَيْطَانًا
 وَأَخْسَرُ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانًا
 عَلَى تُمُودَ بَارِضِ الْحِجْرِ خُسْرَانًا
 قَبْلَ الْمَيِّتَةِ أَرْمَانًا فَأَرْمَانًا
 وَلَا سَقَى قَبْرِ عِمْرَانَ بْنِ حَطَّانَا
 وَنَالَ مَا نَالَهُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا
 إِلَّا لِيُنْلَعَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانًا
 مُخَلَّدًا قَدْ أَتَى الرَّحْمَنَ غَضَبَانًا
 إِلَّا لِيَصْلَى عَذَابَ الْخُلْدِ نِيرَانًا"¹

خاتمة

حاولنا في هذه الفصول الكشف على أهم الأنساق الثقافية في الأدب الرستمي ، ودورها الفعال في تشكيل نصوصه وبنائها ، وقد توصلنا في الختام إلى النتائج التالية :

1- سيطرة النسق الديني على الأدب الرستمي بصفة عامة ، مع ملاحظة أن الخطب تعالج أمورا ذات طابع فكري فلسفي ، في حين أن الرسائل احتوت في باطنها أمورا سياسية تمثلت في إخماد نار الفتنة مع المعارضة خاصة نفاث إضافة إلى توطيد علاقات الدولة مع جيرانها .

2- استحضر الشخصيات الثقافية في كل من الخطب والرسائل والقصائد من أجل التذكير والتأثير .

3- تكون صورة النسق السلطوي عادة مرتبطة بصفات التجبر والظلم والطغيان والقوة ، لكن في الأدب الرستمي وبالتحديد في الرسائل وجدنا أنه أخذ صورا مختلفة ، تمثلت بالنسبة للرسالة الأولى (رسالة الإمام أفلح إلى المسلمين في حق نفاث) في صورة السياسي الحكيم الذي يجنح دائما إلى السلم والعتف ، بينما أفرزت لنا الرسالة الثانية (رسالة الإمام أفلح إلى صاحب الأندلس) صورة الواعظ والناصح .

4- نسق الآخر في هذه الدراسة متحول ومتغير ؛ ويتجلى ذلك بوضوح في (رسالة الإمام أفلح إلى المسلمين في حق نفاث) ، حيث يتمثل تارة في المعارضة / نفاث وتارة أخرى في الموالاتة / الرعية ، وبالتالي كانت العلاقة بين نسق السلطة ونسق الآخر هي أيضا في تحول بين تهديد وترغيب بالنسبة للمعارضة / نفاث ، وبين نصح ووعظ وعتاب بالنسبة للموالاتة / الرعية . أما في (قصيدة بكر بن حماد في هجاء عمران بن حطان الشاعر) فقد تناوب على نسق الآخر كل من عمران بن حطان وابن ملجم ، والعلاقة بين نسق السلطة ونسق الآخر تمثلت في الهجاء والعتاب ثم تطورت إلى التجريم والتدنيس .

5- تتميز النصوص المختارة بأنها ثرية بالأنساق ؛ فالأنساق المعلنة كثيرة لكن حركيتها ضعيفة ، بينما الأنساق المضمرة أكثر فاعلية وحركتها أقوى في تشكيل بنية النصوص ، وقد تشابكت هذه الأنساق مع بعضها البعض في علاقة تناقض .

6- بقي الأدب الرستمي يدور في فلك الأدب العباسي الذي اشتهر بالصنعة ، وتمثل ذلك في توظيف السجع سواء في الرسائل أو الخطب .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً/ القواميس والمعاجم :

- 1- ابو القاسم الزمخشري : أساس البلاغة , دار الكتب العلمية , بيروت , ج2, ط1 , 1998.
- 2- سعيد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة , دار الكتاب اللبناني , بيروت , ط1 , 1985
- 3- جمع اللغة العربية : المعجم الوسيط, مكتبة الشروق الدولية , مصر , ط4 , 2004
- 4- ابن منظور : لسان العرب , دار صادر للطباعة , بيروت , مج14 , ط3 , 2004

ثانياً/ المصادر

- 1- أبو بكر بن عبد الله بن محمد المالكي : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية , دار الغرب الإسلامي , بيروت , ج2 , ط2 , 1994
- 2- أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجاني : طبقات المشايخ بالمغرب , حققه إبراهيم طلاي , مطبعة البحث , الجزائر , ج1
- 3- ابو الفداء اسماعيل ابن كثير : البداية والنهاية , دار بن كثير , دمشق بيروت , ط2, 2010.
- 4- سليمان باشا الباروني النافوسي : الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية , دب , دط , دس .
- 5- ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب , تحقيق ومراجعة : ج.س. كولان, إ.ليفى بروفسال , دار الثقافة , بيروت لبنان , ج1, ط3, 1983.
- 6- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري : صحيح البخاري , دار بن كثير , دمشق بيروت , ط1 , 2002.

ثالثاً/ المراجع :

- 1- ابراهيم عوض : فنون الأدب في لغة العرب , دار النهضة العربية , القاهرة , دط , 2008.
- 2- أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر , المطبعة العربية .
- 3- أحمد شوقي بنين : الكتاب العربي المخطوط في شمالي إفريقية وجنوبي الصحراء , الرباط.
- 4- إدوارد سعيد : العالم والنص والناقد , ترجمة عبد الكريم محفوظ, منشورات اتحاد الكتاب العرب , دب , دط , 2000.
- 5- إديث كريزويل : عصر النبوية , ترجمة جابر عصفور , دار سعاد الصباح , الكويت , ط1 , 1993.

- 6- آرثر آيزنجر: النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية , ترجمة وفاء إبراهيم , المجلس الأعلى للثقافة , دب , ط1 , 2003.
- 7- برهان غليون : إغتيال العقل محنة الثقافة العربية بين السلفية والشيعية , المركز الثقافي العربي , الدار البيضاء المغرب , ط4 , 2004.
- 8- بسام قطوس : استراتيجيات القراءة والتأصيل والإجراء النقدي , دار الكندي للنشر والتوزيع , اريد الأردن, دط , دس .
- 9- جون ستروك : البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا , ترجمة محمد عصفور , المجلس الوطني للثقافة والفنون , الكويت , دط , 1996.
- 10- الحفناوي بعلي : مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن, منشورات الاختلاف , الجزائر , ط1 , 2007.
- 11- سامي اسماعيل : جماليات التلقي دراسة في نظرية التلقي عند هانز روبرت يابوس و وولفجانغ آيزر , المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة , ط1 , 2002.
- 12- سمير حجازي : مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر , دار التوفيق , بيروت لبنان , ط1 , 2004.
- 13- عبد الرحمان الميداني : البلاغة العربية , أسسها و علومها و فنونها , دار القلم , دمشق , ج1 , ط1 , 1996 .
- 14- عبد العزيز حمودة: الخروج من التيه دراسة في سلطة النص , المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب , الكويت , 2003.
- 15- عبد العزيز حمودة : المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك , عالم المعرفة , دب , دط , 1988 .
- 16- عبد العزيز غوردو : الفتح الإسلامي لبلاد المغرب "جدلية التمدين والسلطة " , دار ناشري للنشر الالكتروني , الكويت , ط2 , 2011.
- 17- عبد الله ابراهيم , منذر العياشي وآخرون : عبد الله الغدامي والممارسة النقدية والثقافية , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , 2003.
- 18- عبد الله الغدامي : النقد الثقافي قراءة في الأنساق العربية , المركز الثقافي العربي , الدار البيضاء المغرب , ط3 , 2005.
- 19- عبد الله الغدامي , عبد النبي اصطيف : نقد ثقافي أم نقد أدبي ؟ دار الفكر , دمشق , 2004.
- 20- عبد المالك مرتاض : الأدب الجزائري القديم دراسة في الجذور , دار هوما للطباعة والنشر والتوزيع , الجزائر .
- 21- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : تاريخ المغرب والأندلس , مكتبة نهضة الشرق , جامعة القاهرة.

- 22- علي الجارم ، مصطفى أمين : البلاغة الواضحة (البيان ، المعاني ، البديع) ، دار المعارف ، دب ، دط ، دس .
- 23- عمار بوحوشي : التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 , دار الغرب الإسلامي , بيروت , ط1 , 1997 .
- 24- عمور عمار : موجز في تاريخ الجزائر , دار ربحانة للنشر والتوزيع , الجزائر , ط1 , 2002 .
- 25- كاترين كيويرات : المضمهر , ترجمة ريتا خاطر , مراجعة جزييف شريم , المنظمة العربية للترجمة .
- 26- مبارك بن محمد المليبي : تاريخ الجزائر القديم والحديث , دار الغرب الإسلامي , بيروت , ج2 .
- 27- مجموعة من الكتاب : مدخل إلى مناهج النقد الأدبي , ترجمة رضوان ظاظا , المجلس الوطني للثقافة والفنون , الكويت , 1997 .
- 28- محمد الطمار : تاريخ الأدب الجزائري , ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر , 2006 .
- 29- محمد بن رمضان شاوش : الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي , المطبعة العلوية , مستغانم الجزائر , ط1 , 1997 .
- 30- محمد عيسى الحريري : الدولة الرستمية , دار القلم للنشر والتوزيع , الكويت , ط3 , 1997 .
- 31- محمد مفتاح : التشابه والاختلاف , المركز الثقافي العربي , الدار البيضاء , ط1 , 1996 .
- 32- مسعود بو دوخة : مدخل إلى البلاغة العربية وعلومها , بيت الحكمة للنشر والتوزيع , الجزائر , ط1 , 2015 .
- 33- مصطفى الصاوي الجويني : البلاغة العربية تأصيل وتجديد , منشأة المعارف , الاسكندرية , دط , 1985 .
- 34- يوسف عليمات : النسق الثقافي قراءة في أنساق الشعر العربي القديم , عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع , أريد الأردن , ط1 , 2009 .
- 35- يوسف عليمات : جماليات التحليل الثقافي في الشعر الجاهلي أمودجا , دار الفرس للنشر والتوزيع و الأردن , ط1 , 2004 .

الفهرس

الموضوع الصفحة

02.....	الإهداء
03.....	مقدمة
06.....	الفصل الأول : الحياة الثقافية في الدولة الرستمية.
07.....	1/ الوضع السياسي للمغرب قبيل قيام الدولة الرستمية :
07.....	أ- نظرة عامة حول بلاد المغرب
08.....	ب- الأوضاع السياسية
11.....	2/ تأسيس الدولة الرستمية :
12.....	أ- نسب الرستميين
13.....	ب- بناء تيهرت ورسم حدودها
15.....	3/ المظاهر الثقافية في الدولة الرستمية :
15.....	أ- الحياة السياسية :
15.....	- نظام الحكم
16.....	- الأئمة الرستميين
17.....	- العلاقات الخارجية
18.....	ب- الحياة الاقتصادية :
18.....	- الزراعة
18.....	- الصناعة
18.....	- التجارة
19.....	ج- الحياة الفكرية :
19.....	- عوامل نشوء الأدب الرستمي
20.....	- الأنواع الأدبية المشهورة :
20.....	- الشعر وأغراضه
23.....	- فن الرسائل
25.....	- رواد الأدب الرستمي

29.....	الفصل الثاني : النسق في النقد الثقافي
29.....	1/ مفهوم النسق :
29.....	أ- الدلالة اللغوية
29.....	ب- الدلالة الاصطلاحية :
33.....	2/ أنواع الأنساق :
33.....	أ- خارجي
33.....	ب- داخلي
33.....	ج- معلن
33.....	د- مضمّر
35.....	3/ مميزات النسق
37.....	4/ آليات الكشف عن النسق
39.....	5/ علاقة النسق بالنقد الثقافي
40.....	الفصل الثالث : قراءة ثقافية لنماذج مختارة من الأدب الرستمي
41.....	أولا- الخطب الرستمية : قراءة ثقافية
41.....	1- الخطبة الاولى : خطبة الجمعة
41.....	أ/ قصة خطبة الجمعة
41.....	ب/ الأنساق المعلنة في خطبة الجمعة :
44.....	ج/ الأنساق المضمرة في خطبة الجمعة :
47.....	2- الخطبة الثانية : خطبة التحكيم
47.....	أ/ قصة خطبة التحكيم
47.....	ب/ الأنساق المعلنة في خطبة التحكيم :
49.....	ج/ الأنساق المضمرة في خطبة التحكيم :
52.....	ثانيا- الرسائل الرستمية : قراءة ثقافية:
53.....	1- الرسالة الاولى : رسالة الإمام أفلح إلى المسلمين في حق نفاث
53.....	أ/ قصة رسالة الإمام أفلح إلى المسلمين في حق نفاث
55.....	ب/ الأنساق المعلنة في رسالة الإمام أفلح إلى المسلمين في حق نفاث :
57.....	ج/ الأنساق المضمرة في رسالة الإمام أفلح للمسلمين في حق نفاث

64	2-الرسالة الثانية :رسالة الإمام أفلح إلى صاحب الاندلس
64	أ/قصة رسالة الإمام أفلح إلى صاحب الأندلس
65	ب/ الأنساق المعلنة في رسالة الإمام أفلح لصاحب الأندلس
66	ج/ الأنساق المضمرة في رسالة الإمام أفلح إلى صاحب الأندلس
69	ثالثا-الشعر الرستمي : قراءة ثقافية
70	1-القصيدة الاولى : قصيدة الإمام أفلح في مدح العلم
70	أ/الأنساق المعلنة في قصيدة الإمام أفلح في مدح العلم
73	ب/الأنساق المضمرة في قصيدة الإمام أفلح في مدح العلم
77	2-القصيدة الثانية : قصيدة بكر بن حماد في هجاء عمران بن حطان
77	أ/ الانساق المعلنة في قصيدة بكر بن حماد في هجاء عمران بن حطان
78	ب/الأنساق المضمرة في قصيدة بكر بن حماد في هجاء عمران بن حطان
82	ملحق
92	خاتمة
93	قائمة المصادر والراجع
96	الفهرس